



محاضرات حول

الصدقة و الصديق

من خلال القرآن الكريم والسنة الشريفة

**لسماحة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله دام ظله**

حقوق الطبع محفوظة للناشر
الطبعة الثانية
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

بيروت - لبنان - حارة حريك - قرب مستشفى الساحل - هاتف: ٠٣/٧٥٥٢٠٠ - ٠١/٨٢١٣٩٢ - فاكس: ٠١/٣١٤٨٢٤
ص ب ١٥٨ / ٢٥ الغبيري - Email: dam @ dar - almalak. com. / Int: www. dar - almalak. com.

مركز الإسلامي الثقافي
مكتبة سماحة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله العامة
الرقم 3028

F146

محاضرات حول

الصدقة و الصديق

من خلال القرآن الكريم والسنة الشريفة

لسماحة آية الله العظمى

السيد محمد حسين فضل الله دام ظله

دار الملاك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين وصحبه المنتجبين وعلى جميع أنبياء الله المرسلين .

الصدقة في الإسلام :

في الإسلام هناك اهتمام كبير بتركيز العلاقات الإنسانية على أساس ثابت يخدم عقل الإنسان وقلبه وحياته ، لأن علاقة الإنسان بالإنسان تترك تأثيرها على الكثير من جوانب حياته الداخلية والخارجية باعتبار أن طبيعة العلاقة تخلق جواً من الألفة والمحبة والحميمية بما يجعل الإنسان ينجذب الى الآخر حباً عقلياً وشعورياً . ولهذا فقد تحدث الإسلام في الكتاب والسنة عن مسألة الصدقة فيما يحتاجه الإنسان الى هذه العلاقة باعتبار ان الصدقة تمثل الإنسان في الصديق الذي يساعد الإنسان ويعاونه ويكون موضع سره وأمانته وأنسه لأن الإنسان لا يطيق الوحدة بل يحب أن يعيش مع الآخر لأنه اجتماعي بالطبع .

وربما كانت علاقة القرابة لا تملأ كل ذات الإنسان ، فقد يحتاج الى من يكون قريباً له في العقل وفي الروح ممن يمكن أن تكون قرابته أكثر من قرابة النسب ، لأن قرابة النسب تمثل هذا التواصل في الآباء والأجداد ، وربما لا يحمل التواصل بين هؤلاء في داخله تواصل العقل

بالعقل والقلب بالقلب والروح بالروح ، ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام : (رب أخ لك لم تلده امك) .

الصدقة في القرآن :

وعلى ضوء ذلك ، ولخطورة تأثير الصديق في الصديق، أراد الله من الإنسان أن يعرف كيف يختار صديقه . وقد تحدّث الله سبحانه وتعالى عن الصداقة بشكلها الإيجابي كما تحدّث عنها بشكلها السلبي في كتابه المجيد . أما الصداقة في شكلها الإيجابي فهي الصداقة المبنية على التقوى ، وهي أن تصادق الإنسان الذي يعيش تقوى الفكر فلا يفكر إلا حقاً ، وتقوى القلب فلا ينبض قلبه إلا بالخير ، وتقوى الحياة فلا تتحرك حياته إلا في الخط المستقيم . وإذا كان الإنسان تقياً فلا بد أن يكون ناصحاً لصديقه لأن الدين النصيحة . ولا بد أن يكون الوفي لصديقه لأن الوفاء يمتلئ عنصراً من عناصر الإيمان ، وإذا كان الإنسان تقياً فلا بد أن يعين صديقه وأن يساعده وينصره وأن يؤثره على نفسه لأن ذلك من عناصر أخوة الإيمان ، ولهذا حدّثنا الله سبحانه وتعالى أن صداقة التقوى تتحرك في الحياة لأن علاقة مبنية على التقوى هي علاقة تبدأ بالله وبرسوله وبأوليائه ، وترتكز على قاعدة الإسلام في عقائده كلها وشرائعه ومناهجه وأهدافه ، فما دمت مسلماً تقياً فإن هذه هي العروة الوثقى التي لا تنفصم لأن الله سبحانه وتعالى

جعل الإنسان الذي يسلم وجهه لله وهو محسن المستمسك بالعروة الوثقى .

ثم يحدثنا الله سبحانه وتعالى عن أن هذه الصداقة سوف تستمر الى الآخرة ، لأن صداقة الدنيا التي تركز على قاعدة الإيمان بالله وتقواه تجد مكانها الرحب في الآخرة ، لأن الآخرة هي مواقع رضوان الله ونعيم الله . وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة (الأخلاء يؤمئذ بعضهم لبعض عدواً إلا المتقين) [الزخرف : ٦٧] . فالمتقون هم الذين تبقى صداقتهم وخلتهم خالدة لأنها انطلقت من الموقع الثابت فلا زوال لها بالموت بل تمتد لتكون حياة المحبة في الدار الآخرة كما كانت حياة المحبة في دار الدنيا .

الأصدقاء في الآخرة :

ويحدثنا الله سبحانه وتعالى عن هذه الصداقة في الآخرة ، وذلك عندما يلتقي أصدقاء التقوى وأصدقاء الإيمان في الجنة (ونزعنا ما في صدورهم من غل) فقد جاءوا الى الآخرة وليس في قلوبهم أي حقد ، بل كانت المحبة تغمر قلوبهم لأن محبة الإنسان لله تجعله يحب الناس الذين يلتقي بهم ليتعاون معهم ويحب الناس الذين يختلف معهم ليهديهم، ولذلك فأن تكون مؤمناً يعني أن تغمر المحبة قلبك فلا مكان للحقد فيه. وهذا ما تعلمناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما كان يواجه قومه وهم يؤذونه وهو يقول (اللهم اهد قومي فإنهم لا

يعلمون). فالذين لا يحملون الغل في قلوبهم هم الأتقياء حقاً ، الذين يحبون الله سبحانه وتعالى فيحبون خلقه (الخلق عيال الله فأحبّ الخلق الى الله من نفع عيال الله وأدخل على بيت سروراً)^١.

(إخواناً على سرر متقابلين) [الحجر : ٤٧] . متحابين ، متحاشين ، يعيشون سعادة الإيمان ورضوان الله أكبر (ورضوان من الله) [آل عمران : ١٥] .

من صادق ؟

ونرى أن القرآن أيضاً يؤكد على المجتمع الذي تصادقه وتعيش معه، فمن هم هؤلاء الذين تعيش معهم وتصادقهم ؟ (واصبر نفسك) والحديث هنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والله سبحانه وتعالى يخاطب الناس بأسلوب خطابه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ليعرف الناس أهمية هذا الخطاب ، لأن الله إذا كان يطلب أمراً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو حبيبه وأقرب الخلق إليه، فكيف لا يطلبه من الناس ؟ فمعنى ذلك أن لهذا الأمر أهمية بالغة عند الله سبحانه وتعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً)

^١ الكافي : ج ٢ ، ص ١٧٠ .

[الكهف : ٢٨] . أي صادق الذين يخلصون لله ويعبدونه ويبتهلون إليه
ويخلصون له لأن هؤلاء هم الذين يزدون إيمانك وهم الذين
يحفظون لك وتك ويفون لك الوعد والعهد .

قيمة الصديق :

ويحدثنا الله سبحانه وتعالى عن قيمة الصديق من خلال نداء أهل
النار عندما يدخلونها .. ما هي استغاثتهم هناك ؟ (فما لنا من شافعين،
ولا صديقٍ حميم) [الشعراء : ١٠٠-١٠١] ويتحدث الإمام الصادق
عليه السلام عن هذه الآية فيقول : (لقد عظمت منزلة الصديق حتى أن
أهل النار يستغيثون به ويدعون به في النار قبل القريب الحميم ، قال
الله مخبراً عنهم (فما لنا من شافعين ، ولا صديقٍ حميم) ومعنى ذلك
أن الصديق الحميم هو الذي يفى لك ، وهو الذي يعينك حتى أن أهل
النار يتلّفَتون يميناً ويساراً ويتطلعون الى من كانوا يصادقون من
أمثالهم فلا يرون أحداً فيتسألون : أين هو الصديق الحميم ؟ فهم
يعرفون أن صداقة غير المؤمنين صداقة لا تركز على أساس ، فهي
لا تمتد بأصحابها الى الآخرة (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدواً إلا
المتقين) .

أصدقاء السوء :

ويحدثنا الله سبحانه وتعالى عن الأصدقاء في الجانب السلبي ، هؤلاء الذين يعيش الإنسان في الآخرة في حسرة صداقته لهم ، فسبحانه وتعالى يقول (ويوم يعضُّ الظالم) والمراد بالظالم الذي ظلم نفسه بالكفر أو بالضلال والمعصية (على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً) [الفرقان : ٢٧] يا ليتني عشت في خط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان لي طريق إليه وإلى رسالته فيما تمثله من الهداية الى الله (يا ويلتي) فينادي بالويل والثبور وعظائم الأمور (ليتني لم أأخذ فلاناً خليلاً) [الفرقان : ٢٨] . أي ليتني لم أأخذ فلاناً صديقاً . وسأله : ماذا فعل بك فلان ؟ فيجيبك (لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني) فلقد جاء ذكر الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان عقلي منفتحاً عليه ، وكان قلبي منفتحاً عليه ، وجاء هذا الرجل فكان حاجزاً بين عقلي وذكر الله فأنحرف بعقلي عن مساره الطبيعي ، كما انحرف بقلبي عن مساره الطبيعي . ثم عندما واجهت الموقف المصيري خذلني (وكان الشيطان) شيطان الجن أو شيطان الإنسان لا فرق (للإنسان خذولاً) [الفرقان: ٢٩] .

ويحدثنا الله سبحانه وتعالى عن طريقة الشيطان في التسويل للإنسان وخذلانه فيقول : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) [الحشر : ١٦] . وفي يوم القيامة يقف الشيطان في المحشر ويندفع الناس ليقولوا يا ربنا لقد

أضلنا الشيطان حمله المسؤولية ، ولكن الشيطان يتحدث بطريقة أخرى ليدافع عن نفسه وليحملهم المسؤولية كاملة (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق) [ابراهيم : ٢٢] فقد قال لهم (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) [آل عمران : ١٣٣] . وها أنتم ترون المتقين كيف يسيرون الى الجنة (إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم) [ابراهيم : ٢٢] لأن مهمتي هي أن أعد فأخلف ، وأن أوسوس ، وأزين القبيح وأقبح الحسن ، لأن العداوة قد نشأت بيني وبينكم منذ أبيكم آدم وأمكم حواء ، وقد قال لكم الله (إن الشيطان لكم عدوا) فماذا يصنع العدو مع عدوه ؟ ينصحه أو يغشه ؟ (فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) [فاطر : ٦] . فقد أنزل الله في كتابه (وما كان لي عليكم من سلطان) [ابراهيم : ٢٢] (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) [الحجر : ٤٢] (فلا تلوموني) [ابراهيم : ٢٢] فمنذ البداية قلت لله (قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) [الأعراف : ١٦-١٧] . فوظيفتي وهدفي كانا منذ البدء واضحين ، فلقد أردت بغوايتكم التنفيس عن حقدِي وثأري من أبيكم آدم (ولوموا أنفسكم) فلقد أعطاكم الله عقلا وأرسل لكم رسلا وأعطاكم إرادة وهاكم النجدين ، فلماذا لم تتطلقوا في طريق الجنة بل انطلقتم في طريق النار وأنتم تعرفون أن

حزبي هو حزب أهل النار (ما أنا بمُصرخكم) فلو أنكم صرختُم لما أُغثكم (وما أنتم بمُصرخي) ولو صرخت فلن تغيثونني ، فلكل يومئذ شأن يغنيه (إني كُفرتُ بما أشركتُموني) [إبراهيم : ٢٢] . فأنا أكفر بشرككم بأن تجعلوني شريكاً لله تعالى .

الصدّاقة في أحاديث المعصومين عليهم السلام :

ومن خلال ذلك كله ، نجد أن هذه الآية تعطي وحيّاً لأحاديث كثيرة، فهناك حديث للرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه : (المرء على دين خليله ، فليُنظر أحدكم من يخالل) . باعتبار أنه يأخذ من دينه من جهة المؤثرات التي تؤثرها الخلّة والصدّاقة في نفس الشخص الآخر ، فإذا أردت أن تصادق فعليك أن تدرس دين من تصادقه حتّى تعرف أن من تصادقه لن يضلّك عن دينك ، بل قد يقوّي لك دينك . والصدّاقة أيضاً وسيلة من وسائل الحكم على الأشخاص ، فإذا أردت أن تحكم على شخص سواء كان هذا الحكم إيجابياً أو سلبياً فما هي القاعدة التي ترتكز عليها في الحكم عليهم؟ فعن سليمان بن داود (لا تحكموا على رجل بشيء حتّى تنظروا الى من يصاحب) . أي قل لي من تصاحب أقل لك من أنت ، فإنما يعرف الرجل بأشكاله وألوانه لأن كل شكل لشكله ألف .

وجاء في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً : (اجتنبوا الناس بإخوانهم) أي بأصدقائهم فالخدين هو الصديق فإنما

يخادن الرجل من يعجبه . وهذه الأحاديث تؤكد على أن الصداقة تنطلق من المشكلة ، فإنك عندما تتجذب الى شخص فإنما تتجذب الى خصائصه لأنها تلتقي مع خصائصك ، ولأن عناصره تلتقي مع عناصرك .

فعن الإمام علي عليه السلام : (النفوس أشكال فما تشاكل منها اتفق ، والناس الى أشكالهم أميل) . ويقول الإمام علي عليه السلام أيضاً فيما روي عنه (فساد الأخلاق معاشرة السفهاء ، وصلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء والخلق أشكال فكل يعمل على شاكلته ، والناس إخوان ، فمن كانت أخوته في غير ذات الله فإنها تحوز عداوة ، وذلك قوله تعالى : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين).

ويحدثنا القرآن الكريم عن قرين السوء عندما تحين ساعة الحساب أو العذاب (قال قائل منهم إني كان لي قرين ، يقول أأنك لمن المصدقين) أي أن هذا الرجل عندما كان في ساعة الحساب أو عندما أدخل النار أراد أن يجد لنفسه عذراً فقدّم تقريراً عن خلفيات كفره باليوم الآخر . فهذا القرين كان يقول له هل تصدّق هذه الخرافة ؟ وأية خرافة (أنذا متنا وكنا تراباً وعظماً أننا لمدينون) أي أننا إذا متنا سوف ندان ونحاكم ونجازى ؟ (قال هل أنتم مطلعون) أي هل ترون القرين ؟ (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) [الصافات : ٥١-٥٣] فاختر

أصدقاءك من اهل النعيم لا من اهل الجحيم فإنما يعرف الناس بالإيمان وبالعمل الصالح .

ويحدثنا القرآن عن مشاعر الإنسان يوم القيامة عندما يرى قريـنـ
السوء (قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) [الزخرف :
٣٨] . فيا ليتني لم أرك ويا ليت المسافة بيني وبينك كانت من البعد
بحيث لا أراك فأذكر كيف كنت تؤسوس لي وتضلني حتى وصلت الى
هذا المصير المحتوم في نار جهنم ، ويحدثنا الله سبحانه وتعالى عن
موقف قرين السوء عندما يبدأ الحساب ، وقد قُدِّم الإنسان الى المحكمة
بين يدي الله فيحاول هذا الشخص أن يقدِّم عذره ليحمِّل قرينه الذي كان
إلى جانبه مسؤولية ضلاله (قال قرينة ربنا ما أطغيته) فأنا لا أحمِّل
المسؤولية (ولكن كان في ضلال بعيد) فهو سيء ولا دخل لي في
اجتذابه لي ، فما ضغطت عليه ولا أكرهته على ذلك ، فهو صاحب
عقل يفكر؟ (قال لا تختصموا لدي) فقد صدر الحكم (وقد قدمت إليكم
بالوعيد ، ما يُبدل القول لدي) فالحمد لله سبحانه وتعالى يقول أن لا خصام
في اليوم الآخر (وما أنا بظلام للعبيد ، يوم نقول لجهنم هل امتلأت
وتقول هل من مزيد) [ق : ٢٧-٣٠] . والله سبحانه وتعالى يحدثنا عن
الأشخاص الذين يحيطون به وهم قرناء السوء (وقيضنا لهم قرناء
فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) [فصلت : ٢٥] صحيح أن الله
سبحانه وتعالى ينسب الأمر الى نفسه في هذه الآية ، ولكن ليس معنى
ذلك أنه أرسل إليهم قرناء السوء ولكنهم عندما يتحركون من خلال ما

أعطاهم الله من إرادة واختيار فإنهم يتحملون مسؤوليتهم في اختيار قرنائهم . وهكذا فإن الله سبحانه وتعالى من خلال ذلك أن نختار القرين الذي يمكن له أن يعيننا على الطريق الصحيح بدلاً من القرين الذي يعيننا على الطريق المنحرف.

اختبار الصديق :

ويحدثنا الإمام الصادق عليه السلام عن بعض العلامات التي يختبر فيها الإنسان صديقه (من غضب عليك من إخوانك ثلاث مرات فلم يقل فيك شراً فاتخذته لنفسك صديقاً) . فقد تحدث بين الأصدقاء مشاكل وخلافات تجعل أحدهما يغضب من الآخر لكنه يبقى على خط المودة فلا يحاول أن يتكلم عنك بالشر ، فإذا حصل ذلك لمرات ثلاث فاعتبره متوازناً وأنه يملك قاعدة أخلاقية فلا يدفعه غضبه الى أن يقول ما ليس له بحق .

وقد ورد في الحديث عنه عليه السلام : (لا تسم رجلاً صديقاً سمة معروفة حتى تختبره بثلاث . فتتظر غضبه يخرج من الحق الى الباطل ، وعند الدينار والدرهم) . أي هل يخونك أو يكون أميناً على الدينار والدرهم ؟ فقد لا تكون عنده قيمة للدينار والدرهم بل القيمة عنده في الصداقة (وحتى تسافر معه) . لأن السفر يمثل التعب الذي ربما يخرج الإنسان عن توازنه ، فإذا بقي في خط التوازن فإن معنى ذلك أنه ينطلق من قاعدة أخلاقية رصينة .

أصدقاء إيجابيون :

وقد ورد في الأحاديث عن الذين نتخذهم أصدقاء . فعن الصادق عليه السلام (إصحاب من تتزين به ولا تصحب من يتزين بك) . أي صاحب من تستفيد منه ومن يكون في صحبتك له زينة لك من خلال علمه وأخلاقه ، لا الشخص الذي لا تستفيد منه وهو يعتبر نفسه صديقاً لك ولكنه ليس في مستوى الصداقة .

ومن مواظب الحسن بن علي عليه السلام في آخر لحظات حياته قال لجنادة في مرضه الذي توفي فيه : (إصحاب من إذا صحبتك زانك وإذا خدمته صانك ، وإذا أردت منه معونة أعانك ، وإن قلت صدق قولك ، وإن صلت شد صولك) . في الدفاع عن نفسك (وإن مددت يدك بفضل مدها ، وإن بدت عنك ثلثة سدّها ، وإن رأى منك حسنة عدّها ، وإن سألته أعطاك وإن سكت عنه ابتداك ، وإن نزلت إحدى الملمات به ساواك) .

وعن علي عليه السلام : (أكثر الصواب والصلاح في صحبة أولى النهى والألباب) . وعنه عليه السلام (صاحب الحكماء) بحيث يعطيك من حكمته حكمة (وجالس الحكماء) . وهم الذين يملكون سعة الصدر (وأعرض عن الدنيا تسكن جنة المأوى) وعنه عليه السلام : (عجبت لمن يرغب في التكثر من الأصحاب كيف لا يصحب العظماء الأتباء الأتقياء الذين يغفم فضائلهم وتهذب علومهم وتزينه صحبتهم) وقال عليه السلام : (من دعاك الى الدار الباقية) أي انفتح بك على الآخرة

(وأعانك على العمل) الذي يرضي الله سبحانه وتعالى (فهو الصديق الشقيق) لأنه هو الذي يؤدي الى نجاتك وحسن سلامة مصيرك .. وعنه عليه السلام : (قارن أهل الخير تكن منهم) أي اقترن بهم وصاحبهم (وبإين أهل الشر) أي ابتعد وافترق عنهم (تبين عنهم) .

فكر أهل البيت عليهم السلام :

علينا — أيها الأحبة — في التزامنا بإمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أن نبحث عن خطهم في الحياة الذي هو الخط الإسلامي الأصيل في كلماتهم وسيرتهم وكل ما انفتحوا به على الإسلام وعلى الناس كافة ، لأن معنى الالتزام بالإمامة هو الالتزام بالإسلام من خلالهم ، مما أرشدوا الناس فيه الى الأخذ بكتاب الله وسنة نبيه ، وكانت سنة نبيه هي سنتهم لأن حديثهم هو حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

ولذلك فإن علينا أن نملاً حياتنا بهم ولا نقصّر على أحزانهم وأفراحهم فإن أحزانهم هي أحزان الإسلام ، لأنهم تحملوا ما تحملوا من ظلم من خلال الإسلام كله . وهذا ما نستوحيه من سيدتنا سيده نساء العالمين الطاهرة المعصومة فاطمة الزهراء عليها السلام . فعندما نقرأ كل ما قالته ولا سيما في مرحلة الفتنة ، نرى أن الإسلام كان محور كلماتها كلها ، وكان دفاعها عن علي عليه السلام من خلال أنه إمام الإسلام وأميره ، لا عن الإمام الزوج ، وإن كنا لا نفرق

بينهما — لكن العنوان هو العنوان — وهذا ما ينبغي لنا أن نعيشه ، وأن يكون ارتباطنا بأهل البيت عليهم السلام ارتباطاً في الفكر والخط والحركة وكل ما عاشوه وما ساروا عليه حتى نستطيع أن ندخلهم في العصر ولا نبقيهم — كما أبقيناهم في مدى التاريخ — في زوايا مغلقة . إننا نريد أن نجعل أهل البيت عليهم السلام في ذهنية المسلم وغير المسلم ، وفي ذهنية الإنسان المعاصر الغربي والشرقي ، لأن فكرهم هو الفكر الذي يفتح على الحياة كلها ، والإنسان كله ، فلا تحجمهم ولا تصغروهم ولا تجعلهم مجرد دمة ، ولكن اجعلوهم منطلق فكر وحضارة وانفتاح على العالم كله ..

الجانب السلبي من الصداقة :

تعالوا لنستلهم كلماتهم كما نستلهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في الجانب السلبي من الصداقة . فمن هم الذين لا ينبغي لنا أن نصادقهم ؟ فالكلمة العامة لعلي عليه السلام كما في (الغرر والدرر) : (صحبة الأشرار تكسب الشر) . فإذا كان الأشرار هم أصحابك ، فإن معنى ذلك أن تكون الإنسان الذي يكتسب الشر منهم (كالريح إذا مرت بالنتن حملت نتناً) ومن الطبيعي فإن هناك ريحاً خفية وهي الريح العاطفية التي تتطلق من أهواء الصديق لأهواء صديقه .

ويقول عليه السلام : (مصاحب الأشرار كراكب البحر إن سلم من الغرق لم يسلم من الفرق) فالإنسان الذي يركب البحر قد تهجم الأمواج المتلاطمة لتهزّ مركبه وقد تقلبه ليغرق صاحبه ، وقد ينجو ولكنه يعيش القلق والفرع والخوف الذي يجتاح كيانه كله ، وربما يترك تأثيراته النفسية على مشاعره كلها في المستقبل .

ويقول الإمام الجواد عليه السلام — والقليل منا من يعرف الجواد في فكره وتراثه — : (إياك ومصاحبة الشرير فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره) . في لمعانه وصفائه (ويقبح أثره) في نتائجه عندما يقتل ويسفك الدماء .

الأصدقاء المنهي عن مصاحبتهم :

وننتقل الى كتاب الله وأحاديث المعصومين عليهم السلام في تحديد نوعية الأصدقاء الذين يجب أن لا نصاحبهم والقاعدة التي ترتكز عليها صداقة المؤمنين ، حيث يقول سبحانه وتعالى (ويوم يعضّ الظالم على يديه) الظالم لنفسه بالكفر أو بالفسق أو بالإنحراف (يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً) يا ليتني وجدت طريقاً الى السير في خط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأسير معه . ثم ينادي بالويل والثبور (يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً) أي الشخص الكافر الضال الذي اتخذته خليلاً وها هو يتحسّر على تلك الخلّة ، لماذا ؟ (لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني) . وهو الذكر الذي جاء به رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن الكريم الذي يمثل الكتاب الذي يذكر الإنسان بالله سبحانه وتعالى ، وبمصيره بين يدي الله من خلال السير على خط الله ودينه (وكان الشيطان للإنسان خذولاً) [الفرقان : ٢٧-٢٩] . فلم يتحمل مسؤوليته يوم القيامة .

وهناك أناس آخرون يخوضون في آيات الله فيجحدونها ويهزأون بها ويضادونها (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) [الأنعام : ٦٨] فإذا كان الله سبحانه وتعالى لا يرضى لنا أن نجلس في المجالس التي يخوض فيها الناس الحديث السلبي عن الإسلام ، فإننا نستوحى من ذلك أن لا نعيش مع هؤلاء الناس ، لأن الله تعالى يريدنا أن نترك المجلس الذي يتحدثون فيه بالسوء ضد الإسلام ، فهل يقبل أن تكون مجالسنا معهم من خلال الصداقة .

ويحدثنا الله تعالى عن الصداقة المرتكزة على الإيمان والتقوى فمن كان مؤمناً يلتقي معك في إيمانه بالله ورسوله وأوليائه واليوم الآخر والتقوى والخوف من الله والخشوع والطاعة له فصادقه ، لأن هذه الصداقة سوف تستمر حتى تدخل الجنة معاً فتكونا أصدقاء الجنة كما كنتم أصدقاء الدنيا .

أما الذين لا يلتقون معك في الدين ولا في التقوى فإن صداقتك لهم تنقطع وتتحوّل يوم القيامة الى عداوة (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض

عدو (إلا المتقين) [الزخرف : ٦٧] فهم الذين تستمر صداقتهم الى يوم الدين (إذا تبرأ الذين اتَّبَعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتَّبَعُوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منها كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) [البقرة : ١٦٦-١٦٧] فليكن أصدقاؤك المتقين ، وإذا أردت صداقة يراها الله ورسوله وأوليائه والمؤمنون وتستمر معك الى يوم القيامة فهذه هي الصداقة التي تنتهي بك الى ما ذكره الله تعالى (إخواناً على سرر متقابلين) [الحجر : ٤٧] .

وفي الحديث عن الإمام علي عليه السلام : (من لا يصحبك معيناً على نفسك فصحبته وبال عليك) فالصاحب الذي إذا رأى عيباً لم ينهك عنه ، وإذا رأى فيك انحرافاً لم يقومه ، وإذا رأى فيك خطأ لم يحاول أن يصوبه ، فإياك أن تصاحبه لأن صحبته لك لا تفيدك في شيء ، بل ربما يجعلك سكوته وعدم قيامه بالنصيحة لك تمتد في انحرافك وضلالك وخطأك وبذلك يكون وبالاً عليك .

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام (من لم تنتفع بدينه ودنياه فلا خير لك في مجالسته ، ومن لم يوجب لك فلا توجب له ولا كرامة) فالإمام عليه السلام يريد أن يقول ان العلاقة الإنسانية لابد أن تكون نتيجة المصلحة غير المحرمة . والحياة بطبيعتها قائمة على تبادل المنفعة ، وهذا ليس أمراً سيئاً فإن للإنسان أن يبحث عن منفعته في الدنيا إذا لم يكن فيها حرام ، وعليه أن يبحث عن منفعته في

الآخرة، ولذلك لم يبلغ الله سبحانه وتعالى حبّ الذات ، لكنّه وسّعهُ وحدّد الخط المستقيم له ، لأن حبّ الذات على قسمين : فتارةً تحبّ ذاتك فتكون أنانياً بحيث تجعل الدنيا مجموعة في ذاتك ، وتعيش في سجن ذاتك فلا تتطّلع الى الناس من حولك . ولا تتحمّل مسؤوليتك عنهم ، ولا تتطّلع الى الحياة وحاجتها إليك ، فهذه الأنانية ممقوتة ولا يريدّها الإسلام للمسلم ، لأن الله تعالى يريد له أن يكون الإنسان الذي ينفّث على الحياة فيأخذ منها ويعطيها .

حب الذات :

ولذلك ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد سأله بعض الناس (من أسوأ الناس معاشاً ؟ قال : من لم يعيش غيره في معاشه) أي الذي يعيش لنفسه ولم يستفد غيره من معاشه ولا من علمه ولا من خبرته ولا من قوته ولا من ماله ولا من جاهه ما الى ذلك . فحب الذات في هذا الاتجاه مرفوض إسلامياً .

وهناك حب الذات من خلال ما تطلبه من لذات وشهوات محرمة ، وهذا حب يريدك الله أن تجاهد نفسك فيه بأن تمنع نفسك من كل شهوة محرمة ولذة لا يرضاها الله لأنها تذلل وتسقطك .

وكذلك حب الذات من خلال دعم الظالم أو الخضوع للكافر أو مساعدة المستكبر ، فهناك لابد لك من أن تجاهد نفسك إذا أردت أن

تكون مع الظالمين والمستكبرين والكافرين وكن مع الله سبحانه وتعالى
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) [التوبة : ١١٩] .
أما حب الذات من أجل أن تعيش في الدنيا في حاجاتك الشرعية فالله
لم يحرم لباسا ولا مطعما ولا مشربا ولا مسكنا ولا تجارة ، بل
(الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله) ، (العبادة سبعون جزءا
أفضلها طلب الحلال) . فأن تحب ذاتك بهذا اللون من الحب يعني أن
تطلب الدرجة الرفيعة في الآخرة ، فالله خاطبنا بالآخر على أساس
حب الذات فإذا كنتم تحبون أنفسكم فاعلموا الله سبحانه وتعالى (ومن
يعمل مثقال ذرة خيرا) [الزلزلة : ٩] لذلك فحب الذات ليس سلبيا
مطلقا ولا إيجابيا مطلقا ، فأن تحب ذاتك من خلال ما أحله الله لك
في الدنيا ، وما وعدك في الآخرة ، فهذا حب لا مشكلة فيه (وابتغ
فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما
أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب
المفسدين) [القصص : ٧٧] ففكر فيمن تصادق ، هل تنتفع منه في
دينك ؟ هل تنتفع منه في دنياك فيما تتحمل من مسؤولية في هذه الدنيا
؟ صادقه وضع في حسابك أن لكل صداقة شروطها ، وأما من لم
تنتفع بدينه ودنياه فلا خير لك في مجالسته ، ومن لم يوجب لك فلا
توجب له ، فمن لم يتحمل مسؤوليتك فلا تتحمل مسؤوليته ولا كرامة .
ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام : (انظر كل من لا يفيدك
منفعة في دينك فلا تعتد به ولا ترغب في صحبته فإن كل ما سوى

الله تبارك وتعالى مضمحل وخيم عاقبته) أي حاول أو تصادق الإنسان الذي يساعدك في طاعة الله ويقوي لك دينك ، وينفتح بك على آخرتك.

إحذر هؤلاء :

ويقول الإمام علي عليه السلام فيما روي عنه (احذر من إذا حدثته ملك) أي لا يستمع الى حديثك حتى لو كان خيرا ، بل يظهر لك الملل من بدياته (وإذا حدثك غمك) . أي يجلب لك الغموم في حديثه لا من خلال نصيحة ، بل من خلال تعقيد حياتك (وإن سررتك أو ضررتك سلك فيه معك سبيلك) فإذا ضررتك فإنه لا يصفح عنك وإنما يرد الضرر بالضرر (وإن فارقتك ساءك مغيبه بذكر سوأتك) فما دام معك يتحدث عنك بالخير ، فإذا غاب عنك أو غبت عنه تحدث عنك بالسوء (وإن وافقتك حسدك واعتدى) فهو حسود لك حتى لو وافقتك لأنه لا يطيق أن يرى مزايك ، فإذا رأى منك حسن الخلق فإنه يحسدك ولا يحمذك بل يعتدي عليك .

(وإن خالفته مقتك ومارى) فإذا اختلفت معه فإنه يبغضك ولا يفسر المخالفة تفسيرا موضوعيا على أساس اختلاف وجهات النظر (يعجز عن مكافأة من أحسن إليه) فإذا أحسن إليه شخص فإنه لا يكافئه (ويفرط على من بغى عليه) فإن اعتدى عليه شخص فإنه لا يعتدي عليه بمثل ما اعتدى بل يفرط في ذلك بأن يعتدي عليه برد الصاع صاعين ، (يصبح صاحبه في أجر ويصبح هو وزر) فالذي يصاحب

رجلاً مؤمن يصبح في أجر ومثوبة لفلاحه لكنه يصبح في معاصي الله لفساده (لسانه عليه لا له) أي ضد صاحبه (ولا يضبط قلبه قوله) أي لا يتوافق ما في قلبه وما في كلامه (يتعلم للمراء) لا للثقافة ولا للتعليم وإنما للجدال (ويتثقف للرياء) حتى يراه الناس فقيهاً (يبادر الدنيل) أي أن مبادرته ليست للأخرة وإنما هي للدنيا (ويواكل التقوى) فإذا اقتضت التقوى شيئاً فإنه يؤخر العمل ولا يبادر إليه .

ويقول الإمام علي عليه السلام (احذر مصاحبة الفساق والفجار والمجاهرين بمعاصي الله) .

ويقول الإمام علي عليه السلام : (عدو عاقل خير من صديق أحمق) لأن العدو العاقل معروف بعداوته الصريحة ولديه أصول في عداوته فتستطيع الاحتراس منه أما الأحمق فإنه يريد أن ينفعك ليضرك لأنه لا توازن لديه .

وقد ورد في الأحاديث تحديد آخر للمنهى عن مصاحبتهم ، ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام : (إياك ومصاحبة أهل الفسوق) الذين يكون طابع حياتهم الفسق الذي يمثل تجاوز الحد في معصية الله (فإن الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم) فالله كما يحاسب الإنسان على فعله يحاسبه كذلك على رضاه عن فاعل الشر وتأيدده له . وقد ورد في الحديث عن علي عليه السلام : (الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى الداخل إثمان : إثم الرضا وإثم العمل) .

وقال علي عليه السلام : (إن ما يجمع الناس الرضا والسخط ، وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا، فقال : ففعلوها فأصبحوا نادمين) فلقد كان العاقر شخصاً واحداً لكن العشيرة رضيت بفعله أو شجعت عليه ، فأصبحوا شركاء في عملية العقر ، لأن المشاركة تارة تكون بالدعم الكلامي المعنوي ، وتارة بالدعم الفعلي ، ولذلك فعلى الإنسان المسلم بالنسبة للذين يفعلون الشرّ أو يقومون بالظلم ، أن يظلّ دقيقاً في نبضات قلبه وفلتات لسانه . وفي الحديث أيضاً : (الظالم والراضي بالظلم والمعين له شركاء ثلاثهم) لأن الله يريد للإنسان أن يقتلع الشرّ من عقله وقلبه وحياته ، لأن وجود الشرّ في العقل يعني أن هناك بذرة سوف تنمو عندما تتوفر الظروف لنموها ، ولذلك فالراضي بالظلم هو مشروع ظالم في المستقبل ، ذلك أن بعض الناس لا يظلم لأنه غير قادر على الظلم لكنه إذا قدر فإن قدرته قد تدفعه الى ذلك .

ويقول علي عليه السلام : (إياك ومصاحبة الفسّاق فإن الشر بالشر ملحق) ويقول الصادق عليه السلام : (إياك ومخالطة السفلة فإن مخالطة السفلة لا تؤدي لى خير) والسفلة هم الذين يتحركون في المواقع الدنيئة وينطلقون في المشاريع التي تضر بالناس ولا ترتفع بهم .

وعن علي عليه السلام : (إياك ومصاحبة من ألهاك عن ذكر الله وأغراك بالمعصية فإنه يخذلك عند حاجتك إليه ويوبقك) أي يهلكك .

ويقول عليه السلام : (إياك ومصاحبة الكذاب فإذا اضطرتت إليه) بسبب ظروف اجتماعية أو مادية أو رحمية (فلا تصدقه) إرحم نفسك منه ، فمادام كاذباً فإنه يخلق الكذب اختلاقاً فالأصل في كلامه أن يكون كذباً (ولا تعلمه أنك تكذبه) أي حاول أن تواجه الموقف بلباقة فلا تقل له إنك تكذبه (فإنه ينتقل عن ودك ولا ينتقل عن طبعه) .

وعن الإمام الباقر عليه السلام (قال لي علي بن الحسين عليهما السلام : يا بني إياك ومصاحبة القاطع لرحمه) العاق لأبويه (فإنني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاث مواضع) .

وعن الصادق عليه السلام : (إياك وصحبة الأحمق) الذي لا يملك توازن العقل وعمق الفكر ، بل قد يرى الحسن قبيحاً والقبيح حسناً (فإنه أقرب ما تكون منه أقرب ما يكون الى مساعدتك) .

وعنه عليه السلام (إياك وصحبة الكذاب فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، ويقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، إن انتمنت خاتك وإن ائتمنت هاتك) إما بأن يتحدث معك بسوء أو بطريقة الإهانة (وإن حدثك كذبك وإن حدثته كذبك وأنت منه بمنزلة السراب الذي يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) .

أصدقاءك وأعداؤك:

ويقول الإمام علي عليه السلام عن الأصدقاء من هم ؟ والأعداء من هم ؟ فيقول : (أصدقاؤك ثلاثة : صديقك وصديق صديقك وعدو

عدوك ، وأعداؤك ثلاثة : عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك) وهذا المنهج الذي ركّزه الإمام عليه السلام ينبغي أن لا تقتصر به على المسائل الفردية ، بل نمثد به حتى في المواقع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على المستوى الدولي والسياسي من خلال المنظمات العالمية فنحن عندما ندخل في العداء مع الكيان الصهيوني وهو العدو الذي دخل فلسطين وطرده أهلها منها ، ويخطط دائماً لجمع كل يهود العالم للإقامة فيها على حساب أهلها ، وهو عدو الإسلام (لتجدن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) [المائدة : ٨٢] بل هو العدو الذي أربك المنطقة في مدى أكثر من خمسين سنة سياسياً واقتصادياً وأمنياً وربما ثقافياً لذلك كان العدو بكل مقاييس العداوة .

وهنا علينا أن ندرس المسألة في المحاور الدولية ، فمن هو الصديق — الصديق للكيان الصهيوني ، بحيث يكون معه مئة بالمئة وضد العرب والمسلمين بما يتفق مع مصلحة هذا الكيان مئة بالمئة ؟ إنها (أميركا) وليس لدينا مشكلة مع الشعب الأميركي فهو شعب مسالم بطبيعته ، وهناك الكثير من الأميركيين الذين دخلوا في الإسلام ، وإذا أحسنّا الدعوة الى الله هناك فربما يدخل الكثيرون منهم في الإسلام ، وبالتالي فلا مشكلة لنا مع الشعوب كلها ، فالله سبحانه وتعالى أمرنا أن نحول أعدائنا الى أصدقاء (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) [فصلت : ٣٤].

مبدأ التواصل في الإسلام :

في الإسلام — أيها الأحبة — المبدأ هو التواصل لا التقاطع ، فعملية التواصل بين الإنسان وبين الإنسان الآخر يمكن لها أن تسد الثغرات الاجتماعية ، فيما البعد بين الناس يخلق أوهاما يحملها هذا الإنسان من غير ذلك الإنسان مما يعمق الفجوة بينهما ، لكن التلاقي والتواصل والحوار يجعلك تفهم الآخر كيف يفكر ؟ وما هي مبادئه ؟ وما هي أحلامه ؟ وما هي تطلعاته ؟ كما أنه يفهمك في المقابل في ذلك كله ، وأن يفهم الإنسان الإنسان الآخر فإن ذلك يعني سرا من أسرار التنظيم الإسلامي للمجتمع في الحياة ، ولذلك فما نأخذ به في حياتنا الاجتماعية من حيث مقاطعة بعضنا بعضا وعدم محاوره بعضنا بعضا ، هو أمر لا يفتح على الخط الإسلامي الأصيل .

وفي الحديث عن الصداقة نلتقي بكلمة الإمام الكاظم عليه السلام التي يقول فيها : (لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك وأبق منها ، فإن ذهابها ذهاب الحياء) أي عندما تكون هناك صداقة بينك وبين إنسان حر ، فهناك أسلوبان في التعامل : الأسلوب الذي تخرق فيه الحشمة بينك وبينه ، أي تخرق حجاب الحياء حتى لم يبق هناك شيء بينك وبينه يحتشمك فيه أو تحتشمه فيه ، والإمام الكاظم عليه السلام ينصح - بعد شيء من الحياء الذي يمثل علاقتك بصديقك لأن الستور إذا مرقّت بينك وبينه فإن الصداقة قد تهتز من خلال ذلك ، لأن ذلك ربما يمرق الحجب بينك وبينه ، فيذهب الاحترام من علاقتكما فيؤدي ذلك

الى شيء من الاحتقار والإحساس بالتفاهة التي تُوحي بابتعاد أحدهما عن الآخر بوحى عدم احترامه له .

ونقرأ في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام : (إن أردت أن يصفوك لك ود أخيك فلا تمازحنه) والمراد هنا بالمزاح الثقيل (وتمازينه) أي لا تدخل معه في جدال قاس يفسد الصحبة (ولا تباهينه) بحيث تستعرض وجاهتك ومالك في حضرته كما لو كنت تباهيه بما عندك لتكسر مكانته عندك (ولا تشارنه) أي لا تدخل معه في معاملة يمكن أن تكون شرا إذا فسرنا ذلك بالشر أو في عملية تخلق الخلاف بينك وبينه .

يقول الإمام علي الهادي عليه السلام : (المراء يفسد الصداقة القديمة ، ويحلل العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن تكون فيه المغالبة) أي أن يعمل على أن يغلبك وتعمل أنت على أن تغلبه مما يؤدي الى نتائج سلبية في علاقتكما من خلال ما يمكن للمغالبة أن تترك تأثيرها السلبي في النفس اتجاهك ويقول الإمام عليه السلام (والمغالبة أسوأ أسباب القطيعة) فهي الأساس الذي ترجع إليه أسباب القطيعة كلها بما يخلقه في النفس من الشعور بالسقوط أمام الغالب في نفسية المغلوب والشعور بالاستعلاء في نظرة الغالب الى المغلوب فيختل التوازن في قاعدة العلاقة بينهما .

ويقول الإمام علي عليه السلام وهو يوجهنا الى أننا إذا كان لنا أصدقاء وجاعنا الوشاة الذين ينقلون إلينا عنهم كلاما سيئا فإن علينا أن

لا نطيع الواشي (من أطاع الواشي ضيع الصديق) لأن شغل الوشاة الذين ينقلون عن صديقك كلاما سلبيا هو أن يهدموا صداقتك وإلا فماذا يريد الواشي من وشايته غير السوء والوقية ؟

وورد في حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصيته لولده محمد بن الحنفية : (إياك والعجب) أي أن تعجب بنفسك من خلال انتفاخ شخصيتك في نظر نفسك (وسوء الخلق) بأن تبادر الذين تعاشرهم ويعاشرؤك بالخلق السيء لتكون كلماتك قاسية ، وقلبك قاسيا ومعاملتك قاسية (وقلة الصبر) وهي أن لا تصبر على ما تواجهه من الناس الآخرين عندما يسيء إليك أحدهم ، أو عندما يأتيك أذى منه من حيث يريد أو لا يريد ، ويعني أيضا أنك لا تتحمل الأذى والفعل الذي يسيء إليك ، ولا تنتظر حتى يجلو لك الوقت طبيعة ما حدث من أخيك . (فإنه لا يستقيم لك على هذه الخصال الثلاث صاحب) فإذا كنت تستعرض عضلات شخصيتك أمام صاحبك لتوحي له أنك الأعلى وهو الأسفل أو لتكون معاشرتك به سيئة ، أو لا تصبر على سلبيات العلاقة ، فسوف لن يبقى على صحبته لك (ولا يزال لك عليها من الناس مجانب) فسوف يجانبك الناس عندما تتمثل هذه الخصال في شخصيتك .

النهي عن سوء الظن :

وبنهانا الإمام علي عليه السلام عن سوء الظن عندما نواجه أصدقاءنا ، فقد يبدو منهم ، أو من الناس كافة فعل يمكن أن تحمله على الخير ويمكن أن تحمله على الشر ، ففي هذا المجال يقول الإمام علي عليه السلام (إياك وسوء الظن) أي إياك أن تغلب الظن السيء على الظن الحسن ، لأن ذلك يجعلك لا تتق بالآخرين ، وإذا فقدت الثقة بهم لا سيما إذا كان الآخرون من أصدقائك وإخوانك ، فإن ذلك يؤدي الى تهديم العلاقة وتصنع الصداقة وتعقيد الصلة بالناس الآخرين .

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام في الاتجاه نفسه ما يركز المبدأ بطريقة شاملة فيما يواجه الإنسان مما يبدر من أخيه من قول أو فعل ، حيث يقول عليه السلام : (ضع أمر أخيك على أحسنه) فإذا اندللق أخوك في أمر من الأمور وكانت هناك عدة احتمالات ومنها الاحتمال السيء ومنها الاحتمال الحسن ، فغلب الحسن على السيء ومعنى ذلك أن لا تحكم عليه بالسوء ، بل اعتبر أن من الممكن أنه قد أراد الحسن ، (ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا) فلو فرضنا أنه كان يقصد السوء بنسبة ٩٩% ويقصد الخير بنسبة ١% فقل ربما أراد الواحد بالمائة ، وهذه النظرية التربوية تلنقي مع خط العدالة الإسلامي ، فالمتهم بريء حتى تثبت إدانته ، فقد تجد شخصا يحمل المسدس وثمره شخص مقتول أمامه فلا

تتعلل الحكم على صاحب المسدس ، فالعدالة تقول عن هذا الشخص إنه المتهم ولا تقول إنه المجرم حتى تأتي الأدلة التي تثبت جريمته لأن من الممكن جدا أن تكون هناك ظروف خفية تبرئ ساحة هذا الإنسان . ومن الطبيعي فليس معنى أن تحمل أذاك على الأحسن أن تحكم بالأحسن ، ولكن أن تثير احتمال إرادته للأحسن فلا تحكم عليه بالأسوأ ، فالملاحظ هنا هو نفي الجانب السلبي وليس تأكيد الجانب الإيجابي ، لأنه كما لا يجوز لك أن تحكم عليه بالسوء ، إذا لم يثبت لك السوء بدليل قاطع ، فلا يجوز أن تحكم عليه بالخير إذا لم يكن هناك دليل قاطع للحكم بالخير لكن لا تحمله على السوء إذا كان ثمة احتمال للخير في هذا أو ذاك .

ولذا يقول الإمام علي عليه السلام : (لا يغلبن عليك سوء الظن فإنه لا يدع بينك وبين صديق صفحا) فبعض الناس الذين يعيشون العقدة في علاقاتهم الاجتماعية إذا صدرت منك كلمة حسنة فإنه يقلبها الى كلمة سيئة لأنه لا يستطيع أن يرى الشيء الحسن في الآخرين ، وهذا أشبه شسء بالمتشائم الذي ينظر نظرة سوداء الى الحياة — فيذكر مثلا عن (ابن الرومي) الشاعر العباسي الذي كان معروفا بتشاؤمه أنه بعث إليه جماعة من أصحابه أن يكون معهم في نزهة ، فأرسلوا إليه شخصا أسمه (حسن) فلما بلغه سألته : ما اسمك ؟ فقال له : حسن فقلب الاسم بطريقة ما فأصبح نحسا فأغلق الباب بوجهه . فأرسلوا إليه شخصا أسمه (إقبال) فقلب أسمه فقال : لا بقاء فأغلق الباب . فبعض

الناس مثل ابن الرومي مصاب بعقدة حمل الناس على الأسوأ ، لذلك فقد يتكلم بعض الناس كلاما يمكن أن يحمل على الخير والمعاني الصحيحة لكنهم يحاولون تغليب احتمال السوء ليحكموا به على احتمال الخير ، وهذا أمر نواجهه في القضايا السياسية والعقيدية والشرعية والاجتماعية ، فهناك أشخاص لا هم لهم سوى سوء الظن ، وعندما تحدثهم في ذلك فإنهم يقولون لك : (سوء الظن من حسن الفطن) . وهم لا يعرفون أن سوء الظن ، خصوصا إذا حكم الإنسان على أساسه ، فهو خلاف مقتضى العدالة وخلاف حكم الشرع في ذلك .

ويتحرك الحديث عن الإمام علي عليه السلام لتأكيد الصداقة حيث يقول : (من ناقش الأخوان قل صديقه) فلا تحاول أن تناقش صديقك في كل شيء بحيث تحصي عليه أنفاسه ، فما من أمر إلا وتدخل حوله في نقاش محتدم معه ، وهذا ما صورته بعض الشعراء بالقول :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فلو بحثت في عالم الأصدقاء كله لما رأيت صديقا لا يمكن معاتبته
أو محاسبته فكل إنسان قد تصدر عنه هفوات أو إساءات أو مفارقات بسيطة يمكن التغاضي عنها ، ولذا يقول الإمام عليه السلام : (من ناقش الأخوان قل صديقه) . هذا ما يوجب قلة الأصدقاء .

ما يوجب كثرة الأصدقاء :

أما ما يوجب كثرتهم ، ولا بد لنا هنا أن نعرف أننا أمام هذه الأحاديث تلاميذ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في المسألة الإجتماعية ، فعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام : (من كان الورع سجيته والكرم طبيعته ، والحلم خلته كثر صديقه والثناء عليه). فهذه الخصال والصفات تفتح قلوب الناس على صاحبها وبذلك يكثر أصدقاؤه ومحبه . (وانتصر من أعدائه بحسن الثناء عليه) أي استطاع أن يحصل من أعدائه على النصر بأن يجبرهم على أن يذكروه بخير .

ومن مواظ الإمام زين العابدين عليه السلام للزهري وقد رآه حزينا مما رأى من جهة الحساد ، ومن أحسن إليه . والزهري من أصحاب الإمام الذي تكثر روايته عنه ولذا يسأله الإمام عليه السلام عن سبب حزنه فقال له إنه يحسن الى الناس والناس يسيئون إليه ، وأنه يعيش في مجتمع يكثر فيه الحساد الذين يحسدونه على ما أعطاه الله تعالى من فضله مما يخلق له مشاكل نفسيه واجتماعية ككل إنسان يشعر إنه محاصر من قبل من يحسدونه أو ممن يسيئون إليه في مقابل إحسانه لهم .

فقال له الإمام عليه السلام : (إما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك) أي إذا أردت الخلاص من مشكلتك فانظر الى مجتمع المسلمين كأسرة ، وانظر كيف يتعامل الإنسان مع الكبير ومع

الصغير من أسرته ؟ فتعامل مع المسلمين كذلك ، وقد أراد الله لنا أن نعيش معنى العلاقة الحميمة مع المسلمين في قوله تعالى (إنما المؤمنون أخوة) [الحجرات : ١٠] حيث أنه جعل الإيمان نسبا أقوى من النسب ، فاعتبر المسلمين بأجمعهم أسرة واحدة يعيشون في داخل هذه الأسرة كما يعيش الأخوة (فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك) فتحترمه كما تحترم والدك وتوقره كما توقر والدك (وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك) فتحنو عليه كما تحنو وتعطف على أولادك ، (وتجعل تربك) أي الذي هو في سنك (بمنزلة أخيك فأي هؤلاء تحب أن تظلم؟!) فهل يحب الإنسان إذا كان سويا عاقلا ظلم أبيه أو ولده أو أخيه فإذا اعتبرت المسلمين بهذه المنزلة من احساسك وشعورك فإن معنى ذلك أنك سوف تتعامل معهم بروح لا ظلم فيها ، لأن الإنسان لا يحب أن يظلم أيا من ذويه أو ذوي رحمه . (وإن عرض لك إبليس - لعنه الله - أن لك فضلا على أحد من أهل القبلة) فقد يأتيك الشيطان ليوسوس لك أنك صاحب الفضل على الناس ، وأنت وحدك الذي تحسن وتخدم وتسعى في إصلاح المجتمع وعلى الناس كلهم أن يطيعوك ويخضعوا لك .

وهذا هو حال بعض الناس ، فما أن تنتفخ شخصيته يتصور أن له حقا على الناس وليس للناس حق عليه ، فهو يحب أن يخدم ولا يخدم ، يحب أن يحسن إليه ولا يحب أن يحسن إلى أحد . (فإن كان أكبر منك) أي حاول أن تدخل في حوار بينك وبين نفسك في مواجهة اغواء

إبليس لك وذلك تدرس هذا الشخص الذي يقول لك إبليس بأنك أفضل منه (فإن كان أكبر منك فقل قد سبقني بالإيمان والعمل الصالح) فقد تكون لدي صفات أحسن منه لكنه عندما جاء إلى الحياة قلبي وكان مؤمنا ولم أكن موجودا فقد سبقني إلى ممارسة الإيمان والعمل الصالح (فهو خير مني) .

(وإن كان أصغر منك فقل قد سبقته بالمعاصي والذنوب فهو خير مني) فأنا لست معصوما فقد بلغت قبله وعصيت الله قبله فهو أفضل مني لأن معاصي أكثر من معاصيه .

(وإن كان تربك) أي هو في مثل سنك (فقل أنا على يقين من ذنبي وفي شك من أمره ، فما أدع يقيني لشكي) فأنا أعرف بذنوبي ولا أعرف بذنوبه أي أنني على يقين مما اجترحته من المعاصي والذنوب وفي شك من معرفتي بذنوبه ، فلست مستعدا لترك يقيني لشكي ، فقد يكون أفضل مني .

(وإن رأيت المسلمين يعظمونك ويوقرونك ويحبونك فقل : هذا من فضل أخذوا به) فبعض الناس ينتفخ عندما يرى النعال تخفق خلفه والناس يعظمونه ويهتفون باسمه ، في حين أن لهؤلاء الفضل عليه في تقديرهم ورعايتهم له مما قد لا يجب عليهم القيام به اتجاهه وقد لا يستحق ذلك . وهذا مما علمنا إياه أمير المؤمنين عليه السلام وهو الذي بلغ من العصمة ما يمكن أن يكون فوق العصمة إذا كان هناك شيء فوقها ، لكنه كان يتواضع لله تعالى ، وكان يتواضع للناس ، فكان

إذا مدحه أحد خضع لله وقال : (اللهم اجعني خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون) .

وقد علمنا الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء (مكارم الأخلاق) وأنا أنصح بقراءته يوميا لأنه يمثل المنهج الأخلاقي التربوي الذي لم يترك أي مفردة من مفردات الأخلاق إلا وقد ذكرها ، ولكن مشكلتنا أننا لا نعرف علي بن الحسين عليه السلام وأنا حولنا أئمتنا عليهم السلام الى مناسبة للبقاء ولم نحولهم الى مدرسة للعلم والوعي والتوجيه والعطاء .

يقول عليه السلام : (اللهم لا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها ولا تحدث لي عزا ظاهرا إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها) .

ثم نمضي مع علي بن الحسين عليه السلام في مواعظه للزهري عن الصداقة (وإن رأيت منهم جفاء أو انقباضا عنك فقل هذا الذنب أحدثته) فإذا رأيت الناس لا تعظمك ولا توقرك ولا تقبل عليك فانسب التقصير لنفسك ، أي لا تتهم الناس بأنهم غير طيبين وإنما اتهم نفسك بأنها ارتكبت ذنوبا فهجرك الناس جراء الذنوب التي تركت تأثيرها السلبي في الحياة ، أو أنك أسأت إليه بذنبك الذي أحدثته فهجروك لأجله (فإنك إن فعلت ذلك) أي إذا عشت هذه الذهنية والروحية (سهل الله عليك عيشك وكثر أصدقاؤك وقل أعداؤك) وهذا هو توجيه الأئمة عليهم السلام في التعامل مع شرائح الناس كل من موقعه .

حدود الصداقة :

وننتقل الى حدود الصداقة ، فنلتقي بكلمة للإمام جعفر الصادق عليه السلام : (لا تكون الصداقة إلا بحدودها ، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها ، وإلا فلا تنسبه الى شيء من الصداقة) . فمن كانت فيه هذه الحدود أو الموصفات أو الشروط أو شيء منها فهو الصديق وإلا فدعه ، (فأولها أن تكون سريرته وعلانيته لك واجدة) أي لا يتلفك — في العلانية — بالأحضان وفي السر يطعنك بالظهر بل يستوي سره وعلانيته في موقفه الحميم والمخلص منك .

(الثانية : أن يرى زينك زينه وشينك شينه) أي يعتبر فضائلك وصفاتك الجيدة كأنها فضائله هو ، وإذا رأى أشياء سيئة فإنه يشعر كأنك هو وكأنه أنت ، أي إذا رأى فيك زينا شعر أنه اتصف فيه ، وإذا رأى شيئا وعيبا شعر أنه أخذ به.

(والثالثة : أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال) أي يظل صديقا لك مهما تغيرت وتطورت أحواله الى الأحسن ، فلو كان إنسانا بسيطا لا وجهة له ولا مال وكان يصادقك لأنه لا يشعر بتميزه عليك ، ثم شغل منصباً أو أصبح وجيهاً أو فاز بمال كثير وأبقى على صداقته معك وكأن شيئاً لم يتغير في واقعه ، فهذا هو الصديق فاحفظ صحبتته واحرص عليها ، وإلا فلا .

(والرابعة : لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته) فإذا كانت لديك حاجة وكان قادراً على أن يعطيك إياها فلا يمنعك منها .

(والخامسة : وهي التي تجمع هذه الخصال : أن لا يسلمك عند النكبات) . فعندما تتكذب ويجور الدهر عليك فلا يتكرر لك وإنما يحاول أن يحتضن ظرفك العصيب ليدعمك ويقويك ويساندك في موقفك لتخرج سالما من أزمته ، فأين صديق كهذا في أيامنا هذه ؟
وورد في حديث الإمام علي عليه السلام : (لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث : في نكبته ، وغيبته ، ووفاته) يحفظه في نكبته بأن يساعده على تجاوزها ، ويحفظه في غيبته فيرد غيبته لمن اغتابه ، ويعمل على أن لا يذكره إلا بخير ، ويحفظه في موته ليحفظ أهله وعياله .

وعنه عليه السلام : (الصديق الصدوق من نصحك في عيبك) فإذا رأى فيك عيبا فإنه يحاول أن ينصحك لأنه يريدك سالما من العيوب ، وقد ورد في الحديث المأثور (المؤمن مرآة أخيه) بحيث ترى نفسك في أخيك باعتبار أنه قد يطلع عليك بما لا تطلع عليه من نفسك ، تماما كما هي المرأة التي تكشف لك من ملامح وجهك ما لا تستطيع أن تكتشفه بنفسك . (وحفظك في غيبك ، وآثرك على نفسه) فإذا كانت له حاجة في شيء وكانت لك حاجة في شيء آثرك في ذلك .

وله عليه السلام أيضا : (الصديق من كان ناهيا عن الظلم والعدوان) فإذا رأى ظالما في بيتك أو في حياة الناس فإنه لا يساعدك على ظلمك بل ينهال عنه . وقد ورد أن شخصا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الكلمة المأثورة عند العرب (انصر أخاك ظالما

أو مظلوما) فقال : قد عرفنا نصرته مظلوما فما معنى نصرته ظالما ، فقال بأن تمنعه من الظلم بأن تعينه على نفسه الأمانة بالسوء لتحول دون ظلمها الآخرين .

وقال عليه السلام : (الصديق من كان ناهيا عن الظلم والعدوان ، معينا على البر والإحسان) وعنه عليه السلام وهو العظيم في دراسته لدقائق الحياة الاجتماعية ، وهذا هو سبب دعوتنا المستمرة الى أن نفهم عليا عليه السلام لا في كيفية جندلته أبطال الشرك كمرحب وعمر بن عبد ود ، بل كيف يضرب الظلمات والجهل والتخلف ليكتشف الحقيقة التي ترتفع بمستوى الناس .

ولست أدري ماذا سيكون موقفنا لو كان علي عليه السلام معنا ، فلقد قال عمر بن الخطاب (لو و ليها علي لحملهم على المحجة البيضاء) فمن يقبل هذه المحجة وهو القائل (ما ترك لي الحق من صديق) ؟

يقول عليه السلام : (إنما سمي الصديق صديقا لأنه يصدقك في نفسك ومعايبك فمن فعل ذلك) أي كان صادقا معك ينبهك على نقاط الضعف في نفسك ، ويرشدك في إكتشاف عيوبك (فاستتم إليه فإنه الصديق) أي حاول أن تطمئن اليه لأنه الصديق المخلص . وعنه عليه السلام أيضا (صديقك من نهاك عن ارتكاب المآثم والذنوب وعدوك من أغراك) بعيوبك وذنوبك ، وفي المثل الشعبي (من أبكاك بكى

عليك، ومن أضحكك ضحك عليك) لكن بعض الناس يحبون من يضحكون عليهم ولا يحبون الذين يبكون عليهم .

الاختبار قبل الصداقة :

إن الناس ، أغلب الناس ، ربما يكون ظاهرهم على صورة ولكن باطنهم يكون على صورة أخرى ، ولذلك فلا بد للإنسان من أن ينفذ الى داخل حياة الناس سواء كان ذلك من خلال تجربته الخاصة في معاشرته لهذا الإنسان أو ذاك ، أو من خلال اعتماده على ما ينقله الثقة من ذلك مما شاهدوه أو مما عاشوه معه .

وهذا أمر لا يختص بالصداقة بل يشمل أنواع العلاقات الإنسانية كلها سواء منها علاقة الزواج أو غيرها ، فلا بد للرجل عندما يختار زوجته أن يدرس ماذا يريد من زوجة المستقبل ؟ ثم يدرس العناصر المتنوعة في شخصية هذه المرأة أو تلك قبل أن يختارها زوجا .

والأمر نفسه بالنسبة للمرأة عندما تختار زوجا ، فلا بد أن تدرس ماذا تريد من الزوج في صفاته ؟ وهل هذه الصفات موجودة في هذا الرجل أو ذاك ؟ لأن ذلك هو الذي يمكن أن يحقق للعلاقة الزوجية سلامتها عندما يدخل الطرفان الى الحياة الزوجية لينشأ علاقة وثيقة يمكن أن يكونا من خلالها عائلة تتأثر بهما معا إن في صفاتهما أو في سلوكهما وما إلى ذلك .

ولهذا — أيها الأحبة — لا ينبغي للآباء أن يفرضوا على أولادهم — ذكورا كانوا أو أناثا — أية علاقة زوجية نتيجة صلة الأب بأب هذه المرأة أو أي هذا الرجل ، أو على أساس بعض المصالح التي تشده الى هذه العائلة أو تلك ، لأن الحياة ليست للأب وليست للأم ، بل هي في العمق من حياة الشريكين ، ولو أن الإنسان تصور العلاقة الزوجية فإنه قد يشعر أمامها بما يشبه الرعب وذلك من خلال ما تفرض على نفسك من شخص يعيش معك في الحياة ليلاك ونهارك ، ويطلع على أسرارك كلها ، وتخضع له في شؤون حياتك على مدى سنين طويلة ، فكيف يمكن لك أن تختاره فلا بد لك أن تختبره اختبارا شخصيا مباشرا أو شورويا غير مباشر عن طريق الأهل والأصدقاء والمعارف .

وقل الشيء نفسه في أية علاقة إنسانية أخرى سواء كانت تتصل بالجانب الاقتصادي إذا أردت أن تشارك شخصا أو في الجانب السياسي إذا أردت أن تنتمي الى تنظيم أو حركة ، أو في الجوانب الأخرى في الحياة ، فلا بد لك من أن تختبر الإنسان الذي تمحضه ودك وتمنحه ثقتك ، وتفتح به على حياتك .

الأحاديث تؤكد على الاختبار :

تعالوا نستمع الى ما جاء في الأحاديث الشريفة في هذا الخصوص ، ففي كلمة للإمام علي عليه السلام في (الغرر والدرر) يقول فيها :
(قدم الاختبار في اتخاذ الإخوان ، فإن الاختبار معيار تفرق به بين

الأخيار والأشرار) أي ميزان يبين لك من هم الأخيار ومن هم الأشرار، فلا تتخذ أخا صديقا إلا بعد أن تختبره بما يظهره لك واقعه في أخلاقه وفي طبيعة علاقاته وحركته في الحياة .

وفي حديث آخر له عليه السلام : (قدم الاختبار) على إيجاد العلاقة (وأجد الاستظهار في اختيار الإخوان) أي افحص واقع هذا الذي تريد أن ترتبط به بعلاقة الصداقة (وإلا ألجأك الاضطرار الى مقارنة الأشرار) أي إذا دخلت الى جو العلاقة من دون اختبار فقد تقع في مطب العلاقة المشينة مع أصدقاء السوء والشر .

وهناك حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في (كنز العمال) : (إذا رأيت من أخيك ثلاث خصال فارجه) أي حاول أن ترجو مودته وصداقته (الحياء) وهو أن لا يكون وقحا ، بل يكون حياء يلتزم خطوط الحياء في علاقته بالناس لأن الذي يلتزم الحياء يعيش الاحترام للناس . (والأمانة والصدق ، وإذا لم ترها فلا ترجمه) أي بهذه الشروط وإلا فهو لا يستحق صداقتك .

وعن الإمام الصادق عليه السلام : (اختبروا إخوانكم بخصلتين فإن كانت فيهم وإلا فاعزب ثم اعزب) أي لا تتخذ أخا (المحافظة على الصلاة في موافقتها) بحيث يكون هذا الإنسان الذي تريد أن تختاره صديقا محافظا على الصلاة لأنه يمكن أن يعطيك هذا الانفتاح على طاعة الله وبعبادته كما يعطيك ضمانا المداومة على عمل الطاعة واحترام موافقتها مما ينعكس إيجابيا على طبيعة شخصيته في تعاملها

الاجتماعي مع الناس (والبر بالإخوان في العسر واليسر) أي أن يكون باراً بإخوانه بأن يساعدهم ويعاونهم ويعطيهم ما يحتاجونه وما يقدر عليه .

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام : (إذا كان الزمان زمان جور) أي زمان سوء بحيث يتعامل أفرادُه بالظلم والجور فلا ينصف أحد أحداً ، ولا يعطي أحد أحداً حقَه (وأهله أهل غدر) بحيث كانوا لا يفون بالعهود ، بل ينقضونها ويغدرون ببعضهم البعض (فالطمأنينة إلى كل أحد عجز) فلا تطمئن ولا تستسلم ، بل حاول أن تختبر كل إنسان حتى يظهر لك سره لترى هل أنه من أهل هذا الزمان، أي من أهل الجور والظلم أم أنه من أهل الوفاء والعدل ؟

وفي الحديث عن الإمام علي عليه السلام : (لا تثق بالصديق قبل الخبرة) فعندما تعطي الإنسان الذي ساقته الظروف ليكون صديقاً لك من خلال الواقع الاجتماعي ، فلا تعطه ثقته بحيث تسلمه أسرارك وتطلعه على خفاياك ، وتجعله يتدخل في أمورك وشؤونك إلا بعد أن تختبره لترى هل أنه في مستوى الثقة أو ليس في مستواها ؟

ويقول الإمام الباقر عليه السلام : (تجنب عدوك ، واحذر صديقك من الأقوام إلا الأمين من خشي الله) فمن الطبيعي أن الشخص الذي يظهر لك العداء لابد لك من أن تتجنبه ، لأن منطق العداء هو منطق الأضرار ، فعليك أن تباعد عنه لتبتعد بذلك عن ضرره ، ولكن احذر صديقك إذا لم تستطع أن تتعرف أمانته ، وليس معنى الحذر هنا أن

تتركه ، فالإمام عليه السلام ميز بين فعلين (تجنب) و(احذر) فمعنى
الاحذر أن تكون واعيا فلا تستسلم كل الاستسلام ، أي أن تتحفظ في
علاقتك بصديقك إذا لم تثبت لك أمانته فربما يخفي في داخله عدا
وأنت لا تعرف ذلك وقد جاء في قول الشاعر :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فبما انقلب الصديق فكان أدري بالمضرة

فالصديق الذي يطلع على أسرارك كلها ، ثم تحدث بينكما كدوره أو
خلاف فإنه ربما يستغل ما يعرفه من أسرارك مما يضررك كشفه
ليكشفها لأعدائك ، وكما قلنا فإن معنى الاحذر هو عدم الاستسلام ،
وهو المعنى الذي ذكرناه مرارا عن الإمام علي عليه السلام في قوله
(لا تثقن بأخيك كل الثقة فإن صرعة الاسترسال لا تستقال) . فالثقة
العمياء مرفوضة إذ لا بد من مسافة بينكما حتى إذا انكشفت العلاقة عما
لا يوحي بالثقة وإذا تغير عما هو عليه من الصداقة الى العداوة أمكنك
أن تحمي نفسك منه .

وعن الإمام علي عليه السلام أيضا : (إبذل لصديقك كل مودة)
أعطه كل الحب (ولا تبذل له كل الظمائية) ولكن لا تعطه ثقتك كلها ،
بل حاول أن تجعل لنفسك احتياطا تحمي نفسك منه إذا انكشف لك أنه
ليس أهلا للثقة التي منحتها له . وعنه عليه السلام (لا ترغبن في مودة
من لم تكشفه).

عناصر الاختبار :

وثمة أحاديث تبين العناصر التي يختبر بها الصديق . ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام : (عند زوال القدرة يتبين الصديق من العدو) فعندما تكون أمورك بخير من حيث الواجهة والقوة كما لو كنت شخصية اجتماعية بارزة أو دينية أو سياسية أو اقتصادية فالناس أصدقاؤك ، وعندما تزول قدرتك وتفقد جاهك ومالك وقوتك ، عند ذلك يتبين الصديق من العدو ، فإن الصديق يبقى معك حتى في حال فقرك بعد أن كنت غنيا ، وفي حال عجزك بعد أن كنت قويا .

ويقول الإمام الصادق عليه السلام : (يمتحن الصديق بثلاث خصال فإن كان موافقا فيها) أي منسجما في هذه الخصال (فهو الصديق المصافي وإلا كان صديق رخاء لا صديق شدة) فهو صديق لتمضية الوقت يمكنك اختباره بأن (تبتغي منه مالا) فلتطلب منه مالا ، فإذا استجاب لك فهو صديق ، وإلا فهو غير مستعد أن يضحي بماله أو بشيء من ماله لأجلك . (أو تأمنه على مال) لترى أنه أمين إذا استحفظ على المال أو أنه يخونك فيه (أو تشاركه في مكروه) أي أن يشاطرك في الألم لتعرف كيف يتصرف معك في محنتك وبلائك ومصائبك .

وعن سليمان عليه السلام قال : (لا تحكموا على رجل في شيء حتى تنظروا من يصاحب) أي اختبروه بأصدقائه (فإنما يعرف الرجل بأشكاله وأقرانه وينسب إلى أصحابه وإخوانه) .

وعن علي عليه السلام: (لا يعرف الناس إلا بالإختيار ، فاختر أهلك وولدك في غيبتك) لترى كيف يتحدثون عندما تغيب عنهم ، هل يتحدثون عنك بالسوء أم بالخير ؟ (وصديقك في مصيبتك) عندما تصاب بأية مصيبة في نفسك أو في أهلك أو مالك ، فكيف يكون موقف صديقك في مثل هذه الأزمات التي تعصف بك ؟ (وذا القرابة عند فافتك) واختبر قريبك عندما تفتقر ، فإذا كان يساعدك ويعاونك فهو الصديق والقريب والمخلص وإلا فلا (وذا التودد والملق عند عطلتك) فالذي يتملق لك بالكلمات الحلوة يمكنك أن تختبره عندما يتعطل فيك شيء (لتعلم بذلك منزلتك عندهم) .

أفضل الأصحاب :

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في من هم أفضل الأصحاب (قيل للنبي صلى الله عليه وآله : أي الأصحاب أفضل ؟ قال : إذا ذكرت أعتاك ، وإذا نسيت ذكرك) أي الذي إذا كنت ذاكرة لله تعالى ولحق الصحابة وللمعروف كله فإنه يكون لك عوناً في ذلك كله بما يزيده ويثريه ، وإذا نسيت الله سبحانه وتعالى وحقوق الأخوة وموارد المعروف فإنه يهديك إليها بما يتوافر عليه من التزام بذلك كله، فهو أفضل أصحابك لأنه يعينك في حاليك في النسيان وفي الذكر.

وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له وزيرا صالحا إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه) فإذا نسي مسؤوليته إزاء الله فإنه يذكره بها ، وإذا ذكرها فإنه يعينه عليها .

ما حق الصاحب ؟

وننتقل إلى حق الصاحب ، فعن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام في (رسالة الحقوق) : (أما حق الصاحب فأن تصحبه بالتفضل والانصاف) بأن تتفضل عليه بالعطاء وبالخدمة وبالتوقير وأن تنصفه من نفسك بأن تعطيه ما له عليك من حق .

(وتكرمه كما يكرمك) بأن تكرمه بكل أنواع الإكرام التي يكرم فيها الناس بعضهم البعض (ولا تدعه يسبق إلى مكرمة) وذلك بأن تكون المبادر إلى إكرامه والقيام بالأعمال التي تعتبر من المكارم (فإن سبق كافأته) فإذا كان هو المبادر فعليك أن تكافئه .

(وتوده كما يودك) بأن تعطيه المحبة والمودة (وتزجره عما يهم به من معصية) فإذا رأيته يهم بمعصية الله فإن من حق الصحبة أن تردعه وتنهاه عن ارتكابها (وكن عليه رحمة) بأن ترحمه في ظروفه أو مرضه وفاقته وأوضاعه (ولا تكن عليه عذابا) بأن تسيء معاملته في ذلك كله .

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام : (وحق الخليط أن لا تغفره ولا تغشه ولا تخدعه) بل حاول أن تمحضه النصيحة (وتتقي الله تبارك وتعالى في أمره) .

وعن المفضل قال : (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ، فقال لي : من صحبتك ؟) أي من كان معك في سفرك ؟ (فقلت : رجل من إخواني ، قال : فما فعل ؟ فقلت : منذ دخلت المدينة لم أعرف مكانه ، فقال لي : أما علمت أن من صحب مؤمنا أربعين خطوة سأل الله عنه يوم القيامة) فعندما تصاحب إنسانا في سفر فله عليك حق الصحبة وهو أن تتعرف أمره ، أين ذهب ؟ وما هي أوضاعه ؟ وأن لا تتركه من دون أن تتعرف على أموره كلها . وفي هذا المجال (يروى أن عليا عليه السلام صحب يهوديا في الطريق وكان عليه السلام يريد أن يذهب في اتجاه واليهودي في اتجاه آخر لكن الإمام عليه السلام لازمه حتى وصلا الى مفرق الطريق واصل الإمام عليه السلام مسيره في الاتجاه الذي يريد أن يسير فيه اليهودي ، فقال له اليهودي : يا أبا الحسن إن طريقك من هنا ، فهل غيرت رأيك في الطريق ؟ فقال عليه السلام : لا ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدثنا أننا إذا صاحبنا أحدا فإن له حقا علينا بأن نشيعه في خطواته حتى يبلغ مأمنه ، فقال اليهودي : هل هذا هو حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فقال علي عليه السلام : نعم ، فقال اليهودي : مد يدك ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ونفهم من هذا أن بإمكان الأخلاق الإسلامية المنفتحة على الآخرين أن تجتذبهم للإسلام أكثر مما لو جلست معهم وحدثتهم بطريقة فلسفية عن الإسلام ، لأن هذه المبادرات تجتذب العقل والقلب والإحساس والشعور ، ولذلك علينا في هدى هذه الأخلاق الإسلامية أن نعمل كما قال الإمام الصادق عليه السلام : (كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الصدق والخير والورع فإن ذلك داعية) فعندما نتحركون بالصدق لتكونوا الصادقين مع الناس والورعين معهم والأمناء عليهم فإن ذلك يكون دعوة للإسلام لأن الناس يرون الإسلام متجسدا فيكم في هذا الموقف أو ذاك .

وفي حديث لعلي عليه السلام : (لا تقطع صديقا وإن كفر) فالمواصلة مع أصدقائك سواء كانوا أصدقاء الإيمان أو أصدقاء الحياة ضرورية ، فعليك أن لا تقطع صديقك مؤمنا كان أو كافرا ، ونفهم من ذلك أن الإمام عليه السلام يريد أن يقول لك : انطلق مع الكافرين في الأخلاق الإسلامية فربما تجتذبهم بذلك الى خط الإسلام .

وفي الختام هناك حديث للإمام علي عليه السلام يبين فيه ، من هم الأصدقاء ؟ وفي هذا الحديث موعظة : (إن للمرء المسلم ثلاثة أخلاء ، فخليل يقول له أنا معك حيا وميتا وهو علمه) فهو يكون معك في الحياة والممات إذا كان منفتحا على عملك (وخليل يقول له : أنا معك حتى تموت وهو ماله) فمال الإنسان يبقى معه حتى إذا مات أعطاه كفته وتركه (وخليل يقول له : أنا معك إلى باب قبرك ثم أخليك

وهو ولده) فأَي خَلِيل يَخْتَارُهُ الْإِنْسَانُ ؟ إِنَّهُ الْعَمَلُ وَالْعِلْمُ الْمُنْفَتِحُ عَلَى الْعَمَلِ ، فَقَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ فِي حَالَةِ الْإِحْتِضَارِ وَاسْتَعَدَّ لِلْسَفَرِ إِلَى الْيَوْمِ الْآخِرِ تَمَثَّلَ لَهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ وَعَمَلُهُ ، فَيَقُولُ لَوْلَدِهِ : لَقَدْ بَذَلْتُ حَيَاتِي كُلَّهَا فِي سَبِيلِكُمْ وَأَنَا الْآنَ فِي شِدَّةٍ ، فَمَاذَا لِي عِنْدَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ لَهُ : نَشِيعُكَ إِلَى قَبْرِكَ ، فَيَلْتَفِتُ إِلَى مَالِهِ لَيَقُولَ لَهُ : لَقَدْ قَطَعْتُ الْفَيَافِي وَالْقَفَارَ حَتَّى أَجْمَعَكَ مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ وَأَنَا الْآنَ فِي شِدَّةٍ ، فَمَالِي عِنْدَكَ ؟ فَيَقُولُ لَهُ : خَذْ مِنْي كَفَنَكَ ، وَيَلْتَفِتُ إِلَى عَمَلِهِ فَيَقُولُ لَهُ : كُنْتُ ثَقِيلًا عَلَيَّ ، فَيَقُولُ لَهُ : أَنَا مَعَكَ فِي قَبْرِكَ ، ثُمَّ أَكُونُ مَعَكَ فِي حَشْرِكَ فَإِمَّا إِلَى جَنَّةٍ وَإِمَّا إِلَى نَارٍ (وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) [التَّوْبَةُ : ١٠٥] (فَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [الزَّلْزَلَةُ : ٧-٨] .

فَعَلَيْنَا — أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ — أَنْ نَصَادُقَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنْ نَقْتَدِيَ بِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي صَادَقَ رَبَّهُ وَصَادَقَهُ رَبُّهُ (وَاتَّخَذَهُ خَلِيلًا) لِأَنَّهُ أَخْلَصَ لِلَّهِ وَأَسْلَمَ لَهُ ، فَتَعَالَوْا نَجْلِسْ مَعَ اللَّهِ جُلُوسَةَ الصَّدِيقِ مَعَ صَدِيقِهِ وَالْخَلِيلِ مَعَ خَلِيلِهِ ، فَنُعْطِيهِ مِنْ أَنْفُسِنَا الْإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالتَّقْوَى لِيُعْطِيَنَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ)

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

مِلَاحَظَةُ : الْأَحَادِيثُ الْمَرْوِيَّةُ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَأْخُوذَةٌ عَنْ كِتَابِ (مِيزَانِ الْحِكْمَةِ) لِرَبِيِّ شَهْرِي .

أَسْئَلَةٌ وَأَجُوبَةٌ حَوْلَ الصَّدَاقَةِ

الصداقة مع الله :

س : من هو صديق السيد فضل الله ؟

ج : الله .. إنني أعيش السعادة في صداقتي مع الله ، وأقول للناس : كونوا أصدقاء الله ، فانه هو الصديق الذي يعطي صديقه كل شيء في عقله وفي قلبه وفي حياته لأنه الرحمن الرحيم .

العدو هو الشيطان :

س : من هو عدو سماحة السيد ؟

ج : الشيطان بكل نماذجه التي تمثل الشر مع الإنسان وفي الحياة .

إشكالية حول الصداقة :

س : في المدرسة السلوكية الغربية هناك إشكالية حول الصداقة ، فهم يرون أن تعامل الناس بما تحب أن تعامل به أي كما يشتهون فما هو الموقف الصحيح ؟ هل هو التعامل من خلال ما يشتهون أم من خلال قناعتنا ؟

ج : علينا أن نعامل الناس بالأخلاق الحسنة بأن ننصحهم ونحسن إليهم ، ونصدق في تعاملنا معهم ، ولا يعني معاملة الناس بما تحب أن

يعاملوك أن تعاملهم وفق الذوق والمزاج ، بل من خلال التزامك بالحدود التي يلتزمها الناس في القضايا الأخلاقية لا الامور المنحرفة اللاأخلاقية ، أي التحرك في خط العدالة بأن تعامل غيرك بما تحب أن يعاملك به من احترام واعتزاز وتقدير لتدرس ظروفه النفسية والعملية في تعاملك معه من خلال ما تريده من مراعاته لظروفك في تعامله معك .

البشاشة :

س : بالإضافة الى الصداقة والصديق نحتاج نحن المسلمين البشاشة بين بعضنا البعض وهذا مفقود الى درجة كبيرة حتى بعض علمائنا الأعزاء ، فهل هناك طريق وأسلوب يتبعه المسلم لتجاوز ذلك؟

ج : يقول تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) [الأحزاب : ٢١] وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأسوة الحسنة (الْق أَخَاكَ بِوَجْهِ مُنْبَسِطٍ) ولكن بعض الناس يحب أن يخلق لدى الناس الشعور بالكآبة فتراهم مقطباً وعبوساً قمطريراً وينسى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان دائم التبسم والإمام زين العابدين عليه السلام كما يصفه الشاعر :

يغضى حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم
فمن علامات المؤمن أن يكون بشره في وجهه ، لكن بعض الناس
إذا نظرت إليه أدخل على قلبك الهم والغم والحزن والأسى حتى ولو
كان الناس في فرح وسرور .

نصيحة لصديقين افترقا :

س : نريد منكم نصيحة لصديقين افترقا بسبب اختلاف التقليد مع
أنهما كانا حميمين قبل ذلك ، كما أننا نعلمكم بأن في المجتمع نفورا
ومشادات كلامية بسبب التقليد ؟

ج : هذا العمل تخلف واضح وهو يدل على جهل وعلى عدم التزام
بالدين ، فهذا هو أخوك المؤمن وبينك وبينه أخوة الإيمان ، ومن حقه
أن يكون له رأي فيمن يقلده وعلى حسب قناعاته ، ومن حقه أن يكون
لك رأي فيمن تقلده وعلى حسب قناعتك ، فلماذا لا تختلفان عندما تذهب
أنت الى طبيب ويذهب هو الى طبيب آخر ؟

إن المقلد هو رجل مجتهد عنده خبرة بالفقه ، والمجتهد الآخر عنده
خبرة بالفقه أيضا فلا هذا خرج عن المذهب لأنه اختلف مع الآخر ،
ولا ذاك خرج عن المذهب لأنه اختلف عن الفقيه الآخر ، وحتى لو
فرضنا أن وجهة نظرك بالفقيه الآخر سلبية فإله سوف لن يحاسبك
على تقليد فلان فقيها آخر ولا يحاسب الآخر على تقليدك لفقيه غير
مقلدك .

إنني أقول لهما إن فراقكما لهذا السبب خطيئة ومعصية وتخلف
ودليل على عدم التدين لأنكما متعصبان ولستما متدينين . وهكذا فإن
الذين يختلفون ويتباغضون على أساس التقليد لا يخلصون للتشيع ولا
للإسلام وإنما يخلصون لنزواتهم وتخلفهم ولجعلهم في هذا المجال .
والخلاصة أن هناك فرقا بين أن يكون الإنسان ملتزما وبين أن يكون
متعصبا فـ(العصبية في النار) .

الخلافا السياسية :

س : كثيرا ما تفرق السياسة بين المؤمنين ، فكيف نوازن بين
السياسة وبين الرأي وبين الصداقة ؟

ج : يقول الله تعالى : (إنما المؤمنون أخوة) [الحجرات : ١٠]
حتى لو اختلفوا في السياسة ، ولذلك إذا اختلف إنسان سياسيا أو
اجتماعيا مع أخيه المؤمن فهو ليس في خط الإيمان فكأنما يقول : قلل
الله وأقول، وعن الإمام الصادق عليه السلام : (إذا قال المؤمن للمؤمن
أنت عدوي كفر أحدهما) ويقول شوقي :

اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية

ولكن ذلك في القضايا الهامشية لا المفصلية .

صديق يشاهد الأفلام الخلاعية

س : عندي أخ يشاهد الأفلام الخلاعية لفترة طويلة وأنا أصغر منه في السن ولا أستطيع أن أكلمه وأنا في حيره من أمري فبم تنصحونني؟

ج : حاول أن تمنعه ببعض الوسائل حتى لو اضطررت لإخبار من هو أكبر منك إذا عرفت أن ذلك سيمنعه .

لون من الحب :

س : كنت أروض نفسي في أن أحب الناس بقدر حبهم وإخلاصهم للإسلام، لا حبا تمليه علي عواطف وتقاليد وأعرافي، فما رأيكم بهذا اللون من الحب؟

ج : من الطبيعي أن على صاحب الرسالة أن يحب في الله ويبغض في الله. وعلينا أن نعرف أن الله أراد لنا أن نحب آبائنا وأهلنا وإخواننا ولكن على أساس أن يكون حبا يختزن في داخله معنى الإيمان ومعنى الرسالة.

الدفاع عن النفس :

س : هل يجب على الإنسان أن يبرئ نفسه في بعض ما ينسب إليه زورا، إذا أدى ذلك إلى هتك حرمة بعض المؤمنين؟

ج : إذا كان ينسب إليه زورا فعليه أن يرفع عن نفسه التهمة، وهذا حق إنساني وطبيعي وحضاري، بل هو حق ديني أن يدافع الإنسان

عن نفسه، وأن يحاول الانفتاح على الإيجابيات ويكون لبقاً في حفظ حرمة المؤمنين، فلا يذكر سلبياتهم ليسقطهم، بل يسعى إلى النصيح والنقد الإيجابي.

صديق منحرف :

س : يمر أحد الأصدقاء بحالة انحراف، ولا أدري كيف أتعامل مع هذه الحالة، علماً أنه يكن لي محبة واحتراماً؟

ج : حاول أن تستفيد من محبته واحترامه، وأن تدرس أساس هذا الانحراف، وأن تعالجه كما يعالج الطبيب المريض، وإذا كنت لا تستطيع فحاول أن تستعين بغيرك في هذا المجال.

مجالسة من يميئ القلب :

س : جاء في (أصول الكافي ج ٢ ص ٦٠٦) ((ثلاثة مجالستهم تميئ القلب: الجلوس مع الأثقال، والحديث مع النساء، والجلوس مع الأغنياء)) فكيف تفسرون هذا الحديث؟ هل يمكن القول إن الجلوس مع الأثقال ومع الأغنياء والحديث مع النساء تميئ القلب بشكل مطلق؟

ج : هذا باعتبار أن الجلوس مع هؤلاء غالباً ما يقتضي الحديث عن الجوانب التي تثير غرائز الإنسان وشهواته. والجلوس مع الأغنياء يعني في الغالب الحديث عن المال بحيث يجعل الإنسان ينجذب إلى

الدنيا ويشعر بالحاجة الى ما في أيدي الناس، والى أن يكون مع هؤلاء مما قد لا يقدر عليه، ويتكرر لقضاء الله ورزقه سبحانه وتعالى، ومما الى ذلك. وربما كان الحديث مع النساء بلحاظ أنه يغلب عليه الحديث عن الجوانب التي تتصل بالعلاقة بين الرجل والمرأة في شؤونها الغريزية، وما الى ذلك. والجلوس مع الأندال يقود إلى الحديث عن نذاتهم مما يميم القلب. فلا بد للانسان أن يجلس مع من يفتح قلبه على الله، وعلى مسؤولياته في الحياة، ذلك أن في قبال هذه المجالس التي تميم القلب ثمة مجالس تحييه وتبعث فيه النشاط في العبادة والعمل. وهي المجالس التي يذكر فيها الله عز وجل.

طلب صديق :

س : طلب صديق لي في أمريكا أن أرسل له أشرطة غناء محرمة فهل ألبى طلبه مع أنه صديق عزيز ؟

ج : لأنه صديق عزيز عليك فلا ترسل له تلك الأشرطة لأن الإنسان لابد أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها ، فإذا كنت تحب أن يرضى الله عنك وأن لا يغضب منك فعليك أن ترضى لصديقك ما ترضاه لنفسك ، وتكره له عقاب ربه ، بالإضافة إلى أن الصديق ليس صديقا عزيزا لأن الصديق العزيز لا يمكن أن يورطك في غضب الله وفي فعل المحرم .

إيذاء صديق :

س : هل يحق للإنسان أن يتكلم مع صديقه بكلمات تجعل نفسيته مملوءة حقداً عليه كمثال العبارات الجارحة أثناء المزاح ؟

ج : لا يجوز ذلك إذا كان مؤذياً للصديق لأنه لا يجوز إيذاء المؤمن .

أصدقاء المزاح والضحك :

س : كيف تتصورون مصير إنسان يقضي شبابه في السهرات مع الأصدقاء الذين لا يعرفون غير المزاح والضحك ولا يجلس لحظة مع نفسه ولا يضع برنامجاً لوقته ؟

ج : هذا إنسان يعيش حياته من دون أن يمارس إنسانيته ، لأن عليه أن يواجه الحياة من موقع الجد لا من موقع الهزل ، ومن موقع المسؤولية عن عمره لا من خلال اللامبالاة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ؟ وشبابه فيما أبلاه ؟ وعن ماله من أين كسبه وفيم أنفق ؟ وعن حبنا أهل البيت) فالإنسان سوف يسئل عن كل لحظة من لحظات حياته هل صرفها في خير أو في شر ، فعمرنا هو رأسمالنا الذي أراد الله لنا أن ندخل في تجارة معه من خلاله ، فمن أضاع رأسماله وصل الى الله وليس معه شيء بل ربما يصل ومعه الأثقال والأوزار التي تجلعه إنساناً يخسر الدنيا والآخرة .

مصادقة مشبوهين :

س : أصادق بعض الشباب المشبوهين لغرض اصلاحهم مما يسبب لي بعض الإحراجات مع الناس ، فماذا تقولون في ذلك ؟

ج : إذا فرضنا أنه كانت إمكانية إصلاح هذا الإنسان وهدايته كبيرة جدا ، فلا مشكلة في هذا الموضوع ، لأن الناس سوف يعرفون الحقيقة بعد ظهور النتائج الإيجابية من خلال تلك العلاقة .

أما إذا كانت الفرص عادية جدا ، بحيث لا تقرض على الإنسان تكليفا إلزاميا في مصاحبته وهدايته ، فعلى الإنسان أن ينتهي من ذلك ، خاصة إذا وصلت الى حد هتك حرمة من أجل ذلك .

الصداقة بين الجنسين :

س : هل لي أن أتخذ من زميلاتي صديقة أحداثها وأسايرها تماما كما أحداث وأساير الصديق الشاب بحيث ننفّث على جميع المواضيع إلا المحرمة شرعا ؟

ج : لا يحرم اختلاط الرجل بالمرأة ، ولكن طبيعة الواقع الذي يحكم إحساس الرجل بالمرأة والعكس قد لا يضمن لهذا النوع من الصداقة أن يقف عند حدود الله ، فقد يؤدي الى نتائج سلبية على المستوى الشرعي ، لا سيما إذا تطورت هذه المشاعر الحمية بينها وبينه كما يحدث ذلك عادة ، وهذا هو الذي نستوحيه من الحديث المأثور في النهي عن خلوة الرجل بالمرأة وأن الشيطان كان ثالثهما ، فالخلوة ليس

لها موضوعية إلا من حيث أنها تهيء الأجواء الواقعية الخارجية والنفسية للإفتاح على الحرام ، ومن الطبيعي أن الصداقة الحميمة التي تنتوع في لقاءاتها وفي أحاديثها قد تؤدي الى ما تؤدي إليه الخلوة المشار إليها .

أما إذا كان هناك أمن من كلا الطرفين ، بأن لا يقع فيما يحرم أو فيما يثير ، وكان الاختلاط خاضعا للحدود الشرعية المفروضة ، فلا مشكلة في ذلك ، حيث أنه إذا كان لم يؤد الى حرام ، وكانت هناك وسائل شرعية لاستمرار العلاقة (حتى مع وجود العلاقة العاطفية الحميمة) بالروابط الشرعية ، بحيث لو حدثت نتائج معينة فإنها تكون منطلقا من الخطوط الشرعية ، كعقد وما الى ذلك فيما يجوز القيام به في هذه الحال ، فلا مشكلة من ناحية شرعية .

مشاركة تارك الصلاة :

س : هل يجوز لي مشاركة تارك الصلاة في عمل ما ؟

ج : نعم يجوز ذلك — من حيث المبدأ — إلا إذا كانت هذه المشاركة تخالف حدود النهي عن المنكر ، بعبارة أخرى ، إذا كانت شروط النهي عن المنكر غير موجودة ، كما لو كان هذا الإنسان لا يتأثر بالنهي مثلا ، أو كان هناك ضرر كبير يحصل للنهائي من خلال نهيه له ، وكانت هناك مصلحة في مشاركته والتعامل معه أو التوظيف عنده وغير ذلك من أنواع العلاقة العملية ، فلا إشكال في ذلك .

ضعف المودة للمؤمنين :

س : أنا شاب مؤمن وملتزم ولكن عندي تحدث مشكلة بيني وبين إخواني المؤمنين تضعف مودتهم في قلبي وتتحول علاقتي بهم الى مجرد السلام وأشعر بصعوبة كبيرة في محاولة التقرب من جديد خصوصا إذا كان أخي المؤمن هو المخطئ معي ؟

ج : عليك أن تعرف أنه كما يخطئ الآخرون معك فأنت أيضا تخطئ مع الآخرين ، فعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، وإلا فهل ذلك إذا أخطأت مع الآخرين أن يعاملوك بنفس المعاملة ؟ بالطبع لا ، إنما ترجو أن يغفروا لك ويصفحوا عنك ، وعليك أن تفعل ذلك عندما يخطئ الآخرون معك .

لا يتحمل أخطاء الآخرين :

س : أنا شاب أعيش في الغرب ومشكلتي أنني لا أتحمّل الآخرين عندما يخطئون معي أكثر من مرة ، فأقاطعهم ، حيث أنني أقطع أخي وأختي الكبيرين حاليا ، فبماذا تنصحونني ؟

ج : إذا كان القانون هو أن كل من يخطئ فعلى الآخر أن لا يتحمّله وأن يقاطعه وأن يمنع عنه خيره ، فماذا نفعل نحن الخطاؤون مع الله تعالى هل نقبل أن يقاطعنا الله ويسلب عنا رحمته .

ثم أنك تقاطع الآخرين عندما يخطئون معك ، فهل نقبل أن يقاطعك الآخرون عندما تخطئ معهم (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به) .

الإنحراف قبل البلوغ :

س : لي صديق لا يتجاوز عمره ثلاث عشرة سنة يرتكب ما يحرمه الله وأنا أنصحه وأرشده ، وقد سمعت أن الإنسان لا يحاسب على أعماله دون سن البلوغ فأخبرته بذلك فصار يرتكب الذنوب أكثر فأكثر ، وهو يقول لي حين أذكره بالله ، لن أستمع إليك فإن الله لن يحاسبني ، فما هو رأيكم ؟

ج : إذا كان هذا الشخص غير بالغ الاحتلام وإنبات الشعر ، فلدينا في الحديث (رفع القلم عن الصبي حتى يحتلم) ولكن كان من الخطأ أن نتحدث معه عن ذلك ، لأن المشكلة ليست فيما يرتكبه قبل البلوغ في عذاب الله له ، ولكن هذا الذي يرتكبه من المحرمات قد يترك تأثيرا في شخصيته بحيث يمتد ذلك الى ما بعد البلوغ لأنه سوف يصبح خلقا يتجذر في حياته .

ومن جهة ثانية ، فإن الكثير من المعاصي قد تضر الإنسان جسديا وروحيا ونفسيا ، مما يترك تأثيراته الوضعية على الإنسان الفاعل له .

التشخيص بالنظر :

س : أنا مبتلى بالنظر الى وجوه الناس وتشخيص الجيد من غير الجيد ، فغير الجيد ينقبض قلبي منه وأشعر بالكراهية اتجاهه ، فما هي نصيحتكم لي ؟

ج : إقرأ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) [الحجرات : ١٢] وعليك أن تسأل نفسك بحكمك على شخص غير جيد ، ما هو الأساس في ذلك ، وعليك أن تحاسب نفسك ، هل صدر منه شيء يؤكد سوء ظنك به ، وهل لديك معلومات حقيقية عنه ؟! أما مجرد النظرة وانقباض القلب فلا يدل على أن الرجل غير جيد .

اتقاء من يبغضه القلب :

س : ورد في الحديث ((اتقوا من تبغضه قلوبكم)). ألا يتناقض هذا مع الأحاديث الواردة في الحث على الحب وود المؤمنين ؟

ج : لا أدري ما هو مدى وثاقة هذه الأحاديث، لأن المسألة هي أن على الإنسان أن يأخذ ظاهر المؤمن عندما يريد أن يحكم عليه ، ولكن إذا صح هذا الحديث فليس المراد رفض من يبغضه قلبك ولكن الحذر منه ، وهو عندما تقبل على إنسان وترى أن قلبك يرفضه فإن ذلك قد يكون من فراسة المؤمن ، فمعنى أن تحذره هو أن تدرسه جيدا وتدرس السبب من هذا الموقف السلبي الشعوري الذي يقفه قلبك منه : هل هو لحالة ذاتية أو لأن لهذا الشخص خلفيات لا تتناسب مع ظاهره وما إلى ذلك .

فهناك إذا فرق بين الحذر واتقاء الشخص ورفضه ، فمثلا في القول: ((إتق شر من أحسنت إليه)). يمكن أن يفهم بعض الناس منه

أن على الإنسان أن لا يحسن إلى أحد لأن كل إنسان تحسن إليه سوف يواجهك بالشر ، في حين أن معنى ذلك أن عليك أن لا تستسلم لمن أحسنت إليه ولا تقل طالما أحسنت إلى فلان فلا يمكن أن يجيئني الشر منه، فمن الممكن أن يتعقد بعض الناس من الإحسان فيحاول أن يبادل ذلك الخير بالشر تنفيذا لعقده ((وطالما استعبد الإحسان إنسانا)). فأتق شره يعني ضع في حسابك أن من الممكن أن يأتيك الشر منه فتعامل معه تعامل الحذر لا تعامل المستسلم .

أزمة الثقة بين الأصدقاء :

س : أنا شاب أعيش أزمة ثقة في الأصدقاء، لأنني مررت بعدة تجارب فظهر لي زيف بعضهم أو أنهم لا يتجاوبون معي في العمل ، فما هو موقفي منهم ؟

ج : إن المرور بتجارب سلبية لا يعني أن التجارب التي لم تخضها ستكون مماثلة لهذه التجربة ، فمن الممكن أن يكون الأصدقاء الذين التقيتهم لا يمثلون الصفات التي تدفعهم إلى الوفاء ، ولكن قد يكون هناك أصدقاء كثيرون طيبون ، فحاول أن تتابع التجربة، ولكن عليك أن تأخذ من تجاربك السابقة درساً لتستفيد منها في تجاربك الجديدة .

هذه نقطة، وأما النقطة الثانية، فهي أن المشكلة قد تكون منك لا من أصدقائك فلماذا تعتبر نفسك في موقع العصمة وأصدقائك في موقع الخطأ، فربما يحمل أصدقائك ضدك ما تحمله ضدهم ، وربما يقولون

إن فلانا لم يف لنا وربما أخطأت معهم وربما كنت تطلب منهم ما لا تطلبه من نفسك ، لهذا فعليك أن لا تحكم على هذه التجربة بالسوء بل حاول أن تدرس ذلك. أما أنهم لا يتجاوبون معك فلربما لا يفتتعون بما قدمت لهم .

التجاوب مع الصديق :

س : هل من المفروض بالصديق أن يتجاوب مع صديقه على طول الخط؟

ج : من قال ذلك ؟ أليس لنا أصدقاء نحبهم ويحبوننا ولكن نختلف معهم ويختلفون معنا في بعض الحالات ، وقد قال الشاعر : ((اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية)).

معاملة الصديق بالمثل :

س : ما معنى هذا الحديث ((لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل الذي يرى لنفسه))^(١)؟

ج : إن الصداقة لا بد أن تقوم على أن يحب الصديق لصديقه ما يحب لنفسه ((عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به)). فإذا كان يرى لنفسه ما لا يرى لك، بحيث يرى لنفسه الحق عليك ولا يرى لك الحق عليه ، فإن الصداقة عند ذلك تكون من طرف واحد في حين لا بد أن

(١) بحر الأنوار : ج ٧ ، ب ١٤ ، ج ٣٢ ، ص ١٩٨ .

تكون الصداقة من طرفين اثنين ، بحيث أنك تريد له الخير ويريد هو لك الخير أيضا ، أما أن تريد له الخير ولا يريد لك الشيء نفسه فهذه ليست صداقة بل هذا استغلال ، فإذا احببت أن تضحى فالأمر متروك لك، ولكن هذا لا يسمى صداقة .

السلام على تارك الصلاة :

س : هناك حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((لا تسلموا على تارك الصلاة)). فهل يمكن العمل بهذا النص أم أن له ظروفًا خاصة لا بد أن تنتهياً حتى يمكن الالتزام بالنص المذكور ؟

ج : إن المقصود من هذا هو إعلان الرفض والمقاطعة لتارك الصلاة بسبب معصيته، باعتبار أن السلام يمثل المسالمة والمحبة وما إلى ذلك، ولا بد أن ننكر على المسلم التارك للصلاة عصيانه من باب إنكار المنكر، أما إذا كانت هناك بعض المصالح، أو أن السلام عليه ربما يجذبه، يمكننا من أن نربح قلبه وصداقته ونستعمل ذلك لهديته، فعند ذلك تكون المسألة عكسية.

نصائح للشباب المسلم :

س : ما هي نصائحكم للشباب المسلم في حياتهم الاجتماعية والعقيدية وفي جميع الجوانب ؟

ج : إن الأساس هو أن يكون الشباب المسلم مسلماً بحجم الإسلام وبسعة الإسلام وبالعالمية الإسلام وبعمق الإسلام وبشمولية الإسلام ، فأن تكون مسلماً يعني أن تكون منطلقاً في وعيك من أن تأخذ موقعك كما لو كنت شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فالرسول قد انطلق الى العالم ، وعلينا أن نفكر كيف ننطلق الى العالم لأسلمة العالم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعلينا أن نعيش اهتمامات الإسلام والمسلمين (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم) وعلينا أن نملك الأفق الواسع فلا نحاول أن ننثر الخلافات الجانبية والهامشية عندما يحاول العدو أن ينسف الإسلام من جذوره ، أنا لا أريد أن أخفف من القضايا التي تحدث بيننا وبين السنة ، ولا أريد أن أخفف من أية قضية بين الشيعة أنفسهم ، لكن أقول عندما يكون العدو على الأبواب فلا يجوز أن نتحدث عن الهوامش ، هناك شيء اسمه مصلحة الإسلام والمسلمين ، وأرى من خلال الكثير من التجارب الموجودة أننا متخلفون بأكثر درجات التخلف فأى قضية صغيرة تخلق مشكلة لدينا بحيث ننسى الإستكبار العالمي والطغاة والظلمة وما الى ذلك ، وتتحول الكثير من القضايا الصغيرة الى قصص كبيرة ، وكأنه لامشكلة لدينا سوى الإنشغال بالأمور الجزئية .

ملاحظة : الأسئلة مأخوذة من كتاب (الندوة ١ - ٧) (فقه الحياة) .

الفهرست

٢٢	إحذر هؤلاء.....	٣	الصداقة في الإسلام.....
٢٥	أصدقاؤك وأعداؤك.....	٤	الصداقة في القرآن.....
٢٧	مبدأ التواصل في الإسلام.....	٥	الأصدقاء في الآخرة.....
٣٠	النهي عن سوء الظن.....	٦	من نصادق.....
٣٣	ما يوجب كثرة الأصدقاء.....	٧	قيمة الصديق.....
٣٧	حدود الصداقة.....	٨	أصدقاء السوء.....
٤٠	الاختيار قبل الصداقة.....	١٠	الصداقة في أحاديث المعصومين (ع).....
٤١	الأحاديث تؤكد على الاختيار.....	١٣	اختيار الصديق.....
٤٥	عناصر الاختيار.....	١٤	أصدقاء إيجابيون.....
٤٦	أفضل الأصحاب.....	١٥	فكر أهل البيت (ع).....
٤٧	ما حق الصاحب.....	١٦	الجانب السلبي من الصداقة.....
٥١	أسئلة وأجوبة.....	١٧	الأصدقاء المنهي عن مصاحبتهم.....
٦٨	الفهرست.....	٢٠	حب الذات.....

